https://doi.org/10.17656/jlps.10218

التعددية الثقافية في جدل (الليبرالي-الجماعاتي) بين الاعتراف والانتقاد

أ.م.د. أوميد رفيق فتاح* ، م.م.شهاب احمد عبدالله**

* قسم العلوم السياسية/ كلية العلوم السياسية، جامعة السليمانية- اقليم كوردستان العراق; جامعة جيهان– السليمانية- اقليم كوردستان العراق.

** قسم العلوم السياسية/ كلية العلوم السياسية، جامعة السليمانية- اقليم كوردستان العراق.

الملخص

يُعد مفهوم التعددية الثقافية، من المفاهيم المهمة في المجتمع الحديث، الذي بات يضم جماعات متنوعة ثقافياً، الأمر الذي طرح إشكاليات حول الوحدة في إطار التنوع والإنسجام في سياق إحترام الاختلاف. حظيت التعددية الثقافية، كمصطلح يتميز عن الصفة متعدد الثقافات(Multicultural) اشتقاقاً في المجتمع الذي يتكون من جماعات ثقافية متنوعة، برواج واسع في العديد من الدول، واصبح جزءاً رئيسياً لأجندة السياسة الحكومية في إدارة التعددية العرقية داخل السياسة القومية. في هذا السياق، اقترن ظهور المصطلح اقتراناً قوياً بإدراك متنام لنتائج اجتماعية وثقافية غير مقصودة للهجرة على نطاق واسع. ويحضى هذا الاستعمال العمومي الذي صاغته(المفوضية الملكية الكندية عام ١٩٦٥) للتعددية الثقافية بدعم واسع، إذ صادق عليه مؤيده كأمر سياسي تقدمي وبند رسمي من بنود الإيمان معاً، وهو مصطلح اقترن من حيث المبدأ بقيم المساواة والتسامح والإنفتاح على المهاجرين من خلفيات متباينة عرقياً، بشكل يرى انصارها بأنها تضمن لجميع المواطنين ان يحتفظوا بهوياتهم ويشعروا بحسن الانتماء. ونموذجياً تمثل التعددية الثقافية مذهباً اجتماعياً يميز نفسه كبديل إيجابي عن سياسة الإدماج، يلتزم بسياسة الإقرار بحقوق المواطنين والهويات الثقافية لجماعات الاقليات العرقية وبعمومية أكثر واثبات قيمة التنوع الثقافي والاعتراف بها. ومن جانب آخر، يرى منتقدي التع ددية الثقافية ان الاعتراف بها تشجع الانفصالية وتُشكل تهديداً للوحدة الوطنية، والتلاحم الاجتماعي.

پوخته

گومانی تێدا نیە، چەمکی فرەکلتوری، یەکێکە لە گرنگترین ئەو چەمکانەی لە ئێستادا زۆرترین مشت ومڕی لەسە هاتۆتە ئاراوە. یەکێکە لەو چەمکە گرنگانەی کە لە کۆمەڵگەی نوێ وهاچەرخدا پێگەو گرنگیەکی تایبەتی خۆی هەیە، بەشێوەیەك ئاماژەیە بە بوونی کۆمەڵێك سیفات و تایبەتمەندی ڕۆشنبیری ونەتەوەیی پەیوەست بە کۆمەڵە کۆمەڵاتیە جیاوازەکان. ئەم جیاوازیە کلتوریانە ڕاستیەکی هێناوەتە ئاراوە کە ئەویش خۆی دەبینێتەوە لەو کێشەو گرفتانەی کە لەگەڵ خۆیاندا هێناوێتیە ئاراوە. لە گرنگترین ئەو کێشانەش، کێشەی چۆنیەتی بەدیهێنانی یەکانگیری و یەکبوون و دروستکردنی شوناسێکی نیشتمانی هاوبەشە لە چوار چێوە دەوڵەتێکی نیشتمانی و کە ببێتە بنەمانی پێکەوە ژیان لە چوار چێوە ڕێزگرتن لە جیاوازیەکان و دانان بە سەرجەم جیاوازیەکان. هەر بۆیە لە سەردەمی هاوچەرخدا، چەمکی فرەکلتوری بوە خاوەن پێگەیەك لە گرنگیدان و لەهەمان کاتدا سەرچاوەیەك بۆ مشتومڕی بێ کۆتا، کە لە بنەڕەتدا گوزارشت لە چەندین خاسیەت و سیفەتی چەندایەتی دەکات. بەو پێیەی کە خودی کۆمەڵگە لە چەندین کۆمەڵەی کۆمەڵایەتی جیاواز پێك دێت هەربۆیە فرەکلتوری وەك چەمك گرنگی فراوانی بەخۆیەوەبینی لەزۆربەی ئەو دەوڵەتانەی کەپێکهاتە کۆمەڵایەتیەکەی فرەریی بوو. هەر بۆیە ئەم بابەتە بوە بەشێکی گرنگ لە ئەجیندای سیاسی زۆربەی حکومەتەکان. لەم چوار چێوەیەدا، سەرهەڵدانی ئەم چەمکە پەیوەست کرا بە دیاردەی کۆچ و کۆچبەران لە ئاستێکی فراوان و ئەوکێشانەی بەدوای خویدا هێناى. لەهەمووی گرنگتر ئەوەیە کە ئەم چەمکە گرێدرا بە پرنسیپە و بەها باڵاکانی وەك: (یەکسانی، ئازادی، دادپەروەری، لێبوردەیی و کرانەوە بە ڕووی کۆچبەراندا). بە جۆرێك لایەنگرانی وایان دەبینی کە دانان بە جیاوازیەکان تاکە گرنتیە بۆ سەرجەم هاوڵاتیان بۆ پاراستنی شونازەکانیان وتاکە ڕێگەیە بۆ هەستکردن بە ئینتما، هەروەها تاکە جێگرەوەیە بۆ سیاسەتی یەکانگیری و پێکەوە ژیان لە سایەی سیاسەتی دانپێنان بە جیاوازیەکان. پێچەوانەی ئەمە، ڕەخنەگرانی دانپێنان بە فرەکلتورەکان، وایان دەبینی کە دانان بە مافی کەمە نەتەوایەتیەکان هۆکاری سەرەکی دەبێت بۆ زیادکردنی هەستی جودا خوازی و دەبێتە هەڕەشە لەسەر یەکپارچەیی و یەکێتی نیشتمانی و یەکانگیری کۆمەڵایەتی.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

Abstract

The concept of cultural pluralism is one of the important concepts in modern society, which includes culturally diverse groups, which poses problems about unity in the context of diversity and harmony in the context of respect for difference. Multiculturalism, as a term that is etymologically distinct from the adjective multicultural in a society that consists of diverse cultural groups, has gained wide popularity in many countries, and has become a major part of the government policy agenda in managing ethnic pluralism within national politics. In this context, the emergence of the term has been strongly associated with a growing awareness of the unintended social and cultural consequences of large-scale migration. This frantic use of cultural pluralism, formulated by the Royal Canadian Commission in 1965, has widespread support, as its proponent endorsed it both as a progressive political order and as an official clause of faith, a term associated in principle with the values of equality, tolerance and openness to immigrants from ethnically disparate backgrounds. Its supporters believe that it guarantees all citizens that they retain their identities and feel a good sense of belonging. Typically, cultural pluralism represents a social doctrine that distinguishes itself as a positive alternative to the politics of inclusion, committed to the policy of recognizing the rights of citizens and the cultural identities of ethnic minority groups, and in a more general way, and proving and recognizing the value of cultural diversity. On the other hand, critics of cultural pluralism believe that its recognition encourages separatism and constitutes a threat to national unity and social cohesion.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

المقدمة

إنّ التعددية الثقافية تتمثل كصيغة مُمكنة يُفترض أن تسمح بلأيجابة عن سؤال: هل بإمكاننا العيش معا، من خلال الاعتراف بالآخر؟ إن التمايزات الثقافية والعرقية والدينية بما تفرضه من تمايزات في الرؤى والمواقف السياسية هي تمايزات ملازمة لطبيعة المجتمع البشري ذاتهُ. والتعدد تأكيد وإقرار لعالم متنوع ومختلف وعّدت إحدى ثوابت آلية الحياة المعاصرة وكيفية إدارتها والتعامل والتفاعل معها. شهدت المجتمعات البشرية في العقدين الأخيرين، في سائر ارجاء العالم تغيرات مهمة، وتعد المطالبة المتزايدة بالاعتراف رسمياً بالتعدد الثقافي والمطالبة بحقوقهم والمطالبة باحترام متقابل لهويتهم ورفع الاجحاف الذي لحق بهم في الماضي ومطالبة الحكومات باتخاذ موقف عادل تجاه التعددية الثقافية، ماهي إلا جزء من هذه التغيرات. وشهد أواخر القرن العشرين بروز عدة اتجاهات فكرية كالجماعاتية والتعددية الثقافية، إن ما يميز هذه الاتجاهات هو تركيزها على أهمية الجماعات والولاءات الجماعية ونقدها لليبرالية الفردية، حيث ركزت التعددية الثقافية على المساواة الثقافية، وإنتهاج فكرة العمل لصالح الاقليات التي سعت ثقافة الاكثرية المهيمنة إلى استيعابها سواء أكانت قسرياً او من خلال الاعتراف بها. ودافع عن هذه النظرية الكثير من المفكرين، إذ شددوا على حقوق المواطنة المتميزة لصالح الاقليات إستناداً إلى إنتمائهم الثقافي، وهناك ايضاً من انتقد هذه النظرية انتقاداً لاذعاً.

إشكالية البحث: تتجسد إشكالية البحث في عدة تساؤلات جوهرية وهي:

١- كيف يمكن التوافق بين الوحدة السياسية والاستقرار الاجتماعي من جهة، وأهمية التنوع الثقافي من جهة اخرى؟ وهل ان الاعتراف بالتعددية الثقافية يهدد تلك الوحدة أم يساندها، بمعنى، هل ان التعددية الثقافية تسهم في زيادة الإندماج الداخلي أم تعمل العكس؟

٢- كيف يمكن التوفيق بين الأكثرية المهيمنة ثقافياً وسياساً، والاقليات الثقافية الساعية إلى حيازة الحكم الذاتي دون ان يؤدي ذلك إلى تفكيك الدولة؟

٣- الإشكالية التي تنبثق عن المفهوم الليبرالي هي كيفية التوفيق بين حقوق المواطنة، والدفاع عن حقوق الجماعات العرقية الثقافية التي تهدف إلى نيل الإعتراف بخصوصيتها؟

فرضية البحث: بغية الإجابة عن التساؤلات المطروحة في إشكالية البحث، تأتي فرضية البحث لتُشير إلى أن التعددية الثقافية نظرية في التعامل مع التنوع الثقافي، وكذلك تُشير إلى أن التفاوتات الاقتصادية والاجتماعية ما بين الأكثرية المهينة والأقليات الثقافية يمكن تجاوزها من خلال سياسة الاعتراف.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

منهجية البحث: في سياق برهنة فرضيتنا، اعتمدنا في منهجية البحث على المدخل الوصفي، وكذلك مدخل التحليلي المقارن.

هيكلية البحث: يتكون بحثنا من مقدمة وتمهيد ومبحثين. تناولنا في المبحث الأول مفهوم التعددية الثقافية ورؤى الأتجاهين اليمين واليسار حول هذا المفهوم و رؤية كميلكا حول التعددية الثقافية. ففي المطلب الأول، سلطنا الضوء على مفهوم نظرية التعددية الثقافية، وفي المطاب الثاني اشرنا إلى موقف كلاً من إتجاهات اليمين واليسار من التعددية الثقافية، وفي المطلب الثالث تناولنا دفاع كميلكا عن الاقليات الثقافية. وفي المبحث الأخير تناولنا التعددية الثقافية بين الاعتراف والانتقاد، اشرنا في المطلبالأول إلى مسألة الاعتراف بالتعددية الثقافية. وفي المطلب الثاني، سلطنا الضوء على اهم الانتقادات التي وجهت للتعددية الثقافية. ومن ثم جاءت الخاتمة المتضمنةللاستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي لمفهوم التعددية الثقافية والجدل (الليبرالي – الجماعاتي)

ربما يكون أوضح ما تتسم به النقاشات العامة حول التعددية الثقافية هو الافتقار للوضوح فيما يتعلق بالمصطلحات الرئيسية المتعلقة بها، كالتنوع الثقافي، والعرقية. فتعريف التعددية الثقافية تعريفاً مقبولاً، كان دائماً أمراً صعب المنال. أنّ الاعتراف بتلك الفروق أمر صائب او على الأقل جميل في ادنى الحالات مُستحبَ. في الحالة القصوى، تعتمد التعددية الثقافية على صورة للمجتمع، هي صورة عدد من الفئات الثقافية المتمايزة، التي يُفترض أنها تقبل بالعيش معاً ديمقراطياً، ومن خلال الربط بين تأكيد خصوصياتها، واحترام القيم العالمية. إن روح التعددية الثقافية تكمن تحديداً، في هذا المتفصل الديمقراطي القائم على مبدأين يصعب، المواءمة بينهما، هما الاعتراف(بالخصوصيات الثقافية) واحترام(القيم العالمية). لذا، ولفهم ذلك فمن الأصوب البدء ببعض المقدمات التاريخية والاصطلاحية التي ستعود اليها المناقشة في مواضع عدة من هذا الدراسة. ولزيادة في التوضيح، من المفيد تسليط الضوء على محورين اساسيين، ونبحث في سؤالين مثارين وهما: ماهي الجذور التاريخية لظهور فكرة التعددية الثقافية؟ وماهي اهم الجدالات التي خاض فيها الليبراليون والجماعاتيون لإشكالية التعددية الثقافية؟ وسوف نستوضح ذلك في مطلبين.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

المطلب الأول

جذور التعددية الثقافية والجدل حول مفهومها

أولاً: ماهية التعددية الثقافية (الجذور والتطور)

لكي نفهم ماهية التعددية الثقافية، لابُد من أن نسأل عدة أسئلة على وجه الحصر: ماهي الجذور التاريخيةوالفكريةللتعددية الثقافية؟ وكيف تطور عبر الأزمنة؟ وما هي قضاياها المركزية؟

في سياق المفهوم الليبرالي للتعددية الثقافية، ومفهوم التعددية الثقافية في حد ذاته، يجب الحذر من الخلط عند استخدام مصطلح التعددية الثقافية في إطار الفهم الليبرالي بوصفه إدراكاً لأبعاد التنوع الثقافي والاجتماعي القائم بالفعل في المجتمع المعاصر. بينما تُشير التعددية الثقافية لدى مؤيديها إلى أن التنوع قد أصبح سـ مة أساسية للمجتمع ذاته، ويبدو الخلط واضحاً عند طرح مماثلة بين ما هو وصفي وتحليلي، أي تحليل طبيعة التنوع الثقافي والاجتماعي، وما هو تقريري بمعنى أن التنوع اصبح سمة اساسية للمجتمع، والمسألة الأخرى الذي يجب الوعي بها عند الحديث في التعددية، هي التمييز بين قبول التعددية بوصفها دالة على التنوع الذي يؤكد التمييز والإختلاف، وبين التعددية الثقافية بوصفها سياسات وبرامج تتناقض مع فكرة المساواة التي تؤكد عدم التمييز(١).

عموماً، تأسس مذهب التعدد الثقافي، بشكل عام، منذ ستينات القرن الماضي في إطار الأمتداد الذي عرفته ا لدينامية الديمقراطية بالشكل الذي تمارسه الدول المُهيأة لمحطات للمهاجرين مثل(الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا). ولم يكن صعود مدها وأنتشارها دفاعياً فحسب، ولكنه يستلهم حضوره من خلال تقويةالليبرالية والديمقراطية وتعميقها(٢). ظهرت التعددية الثقافية كموقف نظري من خلال انشطة عدة، على سبيل المثال، حركة الوعي الأسود في أمريكا وأصبحت فكرة سياسية ناشطة ضد التمييز العنصري من ستينيات القرن الماضي،حيث تصاعدت المطالبة بحق الاختلاف عن الآخر وحق المساواة في الحقوق الحديثة بين جميعالفئات المهمشة أقتصادياً وإجتماعيا ً وسياسياً بهدف تكسير الحد العنصري الفاصل بين

---

١ ياسر قنصوة، المفهوم الليبرالي للتعددية الثقافية، مجلة التفاهم العدد(٦١)، سلطنة عمان، ٢٠١٨، ص٢٤٩.

٢ للمزيد ينظر: باتريك سـافيدان،الدولة والتعدديـة الثقافية،ت.مصـطفى حسـوني،دار تويقـال للنشر المغـرب، ٢٠١١، ص١٥.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

البيضوالسود.وشهدت آواخرالستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين[١] مستوى متنامياً من الإصرار السياسي بين جماعات الأقلية عُبر عنه أحياناً من خلال (القومية الإثنية الثقافية) في عدة أجزاء من أوروبا وفي أماكن أخرى بأمريكا الشمالية. وكان هذا واضحاً لأقصى حد بين السكان الناطقين بالفرنسية لاقليم(كيبك في كندا)، وظهور القومية(الاسكتلندية والويلزية في المملكة المتحدة)، ونمو الحركة الانفصالية في(اقليم الباسك في اسبانيا)، كما وجد هناك إتجاه نحو التمسك بالهوية الإثنية بين(الامريكيين الأصليين في كندا والولايات المتحدة)، و(السكان الأصليين في استراليا)[٢]. وعليه اصبحت القضية المشتركة بين تلك الإشكال الناشئة من السياسة الإثنية، هي الرغبة في تحدي التهميش الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، واحياناً القمع العنصري. وبهذا المعنى اصبحت السياسة الإثنية وسيلة للتحرر السياسي. وعدوها الرئيسي، هو الظلم الهيكلي وعدم المساواة. ومن جهة اخرى، استمدت سياسة التعددية الثقافية قوتها أيضاً من اتجاهات الهجرة الدولية منذ عام(١٩٤٥)، مما أدى إلى اتساع التنوع الإثني بشكل هائل في العديد من المجتمعات[٣]. فالسؤال المطروح إذن هو: هل كان لتلك الهجرة سبب مساعد؟

بالتأكيد كان هناك عدة أسباب ساعدت مسألة الهجرة الدولية، ومنها على سبيل الحصر، سعي الدول الغربية لاستجلاب عمال من الخارج للمساعدة في عملية إعادة الإعمار بعد الحرب العالمية. ويأتي السبب الثاني في تحديده طرق الهجرة بالعلاقات بين الدول الأوروبية ومستعمراتها السابقة (كالهجرة الهائلة من الجزائر والمغرب وتونس إلى فرنسا). والسبب الثالث-وهو الأهم- تنطلق من الفكر الليبرالي حول الهجرة المتمثلة في الاعتراف بحرية الهجرة، باعتبارها حقاً اساسياً من حقوق الإنسان. ولطالما جادل الليبراليون بهذا الصدد متسائلين " كيف يمكن لنا أن ندافع

[١] ظهرت التعددية الثقافية في الخطابات العامة في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين، عندما بدأ كلاً من استراليا وكندا في التصريح بتايدها لها، وإن شعور هذين البلدين بالحاجة إلى تبني الهوية(المتعدد الثقافات) وإلى اعلان تايدها للتعدية الثقافية أدلة مهمة على المغزى والدلالة العامّين لهذين المصطلحين. تلك الفترة شرعت تلك الدولتين في السماح بهجرة جديدة راحت حينها تُطفى الصبغة الاسيوية على هاتين الامتين. وحُث المهاجرين على الإندماج بدلاً من مطالبتهم بالخضوع للاستيعاب؛ أي إنهم اصبحوا في مقدورهم الاحتفاظ ببعض مكونات ثقافتهم الوطنية. واعتبرت الجاليات العرقية وسيطاً مهماً للأندماج. للمزيد يُنظر: علي راتانسي، التعددية الثقافية، ت. لبنى عماد تركي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ص١٨.

[٢] اندرو هيوود، مدخل إلى الايديولوجيات السياسية، ت.محمد صفار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢، ص٣٧٨.

[٣] اندرو هيوود، مدخل إلى الايديولوجيات السياسية،مرجع سبق ذكره، ص٣٧٩.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

عن حرية التبادل للبضائع، ونقف بقوة في وجه حرية الإنسان في التنقل؟" وبهذا فإن الحواجز المقامة في وجه الداخلين إلى بلد من البلدان من إقرار منع الدخول، وتحديد حصص محددة للمهاجرين، تعد إساءة ومساً بالحقوق المشروعة للناس[١] وأصبح هذا التوجه نقطة جدل بين الليبراليين والجماعاتيين حول مسائل التعددية الثقافية، كما نراه لاحقاً.

وبحلول أوائل القرن العشرين، ادمج عدد متزايد من البلدان الغربية، التعددية الثقافية في سياساتها العامة. وكان ذلك اعترافاً بحقيقة ان اتجاهات التعدد الإثني والديني والثقافي داخل المجتمعات الحديثة لم يعد بالإمكان القضاء عليها. وباختصار شديد، لم تعد العودة إلى الاحادية الثقافية القائمة على ثقافة قومية موحدة ممكنة. وبالفعل فإن أكثر القضايا الايديولوجية إلحاحاً التي تواجهها الأن تلك المجتمعات هي كيفية التوفيق بين التنوع الثقافي، والحفاظ على التماسك السياسي والإندماج الاجتماعي؟ ويرى انصار التعددية الثقافية ان الاعتراف الثقافي، وحماية حقوق الأقلية يساعد في الحد من التطرف السياسي. ولكن من جانب آخر، يحذر خصوم التعددية الثقافية من ان سياسة التعددية الثقافية قد تكون غطاء للتطرف السياسي أو حتى تضفي الشرعية عليها[٢]، وعلى هذا الأساس يأتي انتقادهم للتعددية الثقافية.

ثانياً: الجدل الليبرالي - الجماعاتي

كانت المرحلة الأولى للجدل(الليبرالي _الجماعاتي) هي تلك التي عرفتها فترة ما قبل سنة ١٩٨٩. لقد اعتبر المنظرون الذين انشغلوا بهذه المسألة، في العشرية ما بين(١٩٧٠و١٩٨٠)، أن الجدل حوّل التعددية الثقافية يوافق اساساً الجدل بين(الليبراليين والجماعاتيين). وعندما وجدوا انفسهم في مواجهة موضوع بحث لم يتم استكشافه من قبل بحثوا-وذلك أمر طبيعي- عن مماثَلة بين ذلك الموضوع ومواضيع معهودة لديهم. لأمر كهذا بدا لهم الجدل بين الليبرالية والجماعاتية الأقرب لإثارة البحث في التعددية الثقافية، إذ أنها تفترض التعامل مع الأفراد كأعضاء لجماعاتهم الثقافية، تبحث عن نظرية في(حقوق المجموعات) لغرض الاعتراف بالمجموعات الثقافية واحترام حقوقها. كلّ ذلك يصطبغ بصبغة جماعاتية[٣].

---

[١] باسكال سلان، الليبرالية، ت.تمالدو محمد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ٢٠١٠، ص٢٦٠.

[٢] اندرو هيوود، مدخل إلى الايديولوجيات السياسية، المرجع نفسه، ص٣٨١.

[٣] نقلاً عن: ويل كميلكا، مدخل إلى الفلسفة السياسية المعاصرة، ت.منير كشو، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠، ص٤١٨.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

لقد كانت إحدى الصيغ التي اخذها الجدل بين الليبرالية والجماعاتية تتمثّل، في مسألة اولوية الحرية الفردية. فالليبراليون يؤكدون على ضرورة أن يكون الأفراد أحراراً في ان يقرّروا الحياة التي يريدونها، وفق تصوّر خاص بهم عن الحياة الخيرة، ويستحسنون كل تحرّر للأفراد من المنزلة التي يعزوها لهم المجتمع أو يُرثونها عن أسلافهم. فالليبراليون الفردانيون يقولون إن للفرد أولوية أخلاقية عن الجماعة وإنه ليس للجماعة أهمية إلا لكونها تُساهم في توفير الرفاهية للأفراد المكوّنين لها. ولن يكون للجماعة قيمة، في رأيهم، إن لم يجد الأفراد مصلحة في العادات الثقافية القائمة، كما أنه ليس هناك مصلحة للجماعة في الحفاظ على تلك العادات على نحو منفصل عن مصلحة الأفراد وليس لها أي حق في منعهم من تغييرها أو رفضها[١].

يعترض الجماعاتيون على هذا التصوّر لفرد مستقل بذاته، فهم يرون الناس منغرسين في جملة من العلاقات الاجتماعية تحدّد لهم أدواراً. هذه الذوات المنغرسة لا تشكل تصوّراتها لما هوالخير بنفسها ولا تُراجعها متى رغبت. إذ يؤكد هؤلاء أن الذوات ترث أسلوباً في الحياة يحدّد لها ما هو خيرها. وينظر الجماعاتيون إلى الأفراد كنتاج لعاداتهم الاجتماعية عوض النظر إلى عادات المجموعات كنتاج لأختيارات الفردية. فضلاً عن ذلك، كثيراً ما يتفقون إمكان اختزالمصالح الجماعات في مصالح الأفراد المكوّنين لها. فإعطاء الأولوية لمبدأ الاستقلالية الفردية يمثّل في نظرهم تحطيماً للجماعات. فالجماعة التي تكون في حالة سلمية ومعافاة تحافظ على التوازن بين اختيار الفرد ومقتضى حماية أسلوب الجماعة في العيش، وتعمل على قصر مدى الأول حتى لا يقوّض الثاني[٢].

لقد ساد الاعتقاد في المرحلة الأولى من هذا الجدل، بان الموقف من التعددية الثقافية يخضع إلى طبيعة الموقف الذي ستتخذه في هذا الجدل ويتوقف عليه، فإن كان الشخص ليبرالياً يثمّن الاسقلالية الفردّية فسيعترض على نزعة التعددية الثقافية لأنها غير ضرورية وقد تؤّدي إلى التخلّي عن الدفاع عن الفرد. أما الجماعاتيون فيرون في الاعتراف بالتعدد الثقافي طريقة ملائمة لحماية الجماعات من الآثار المدمرة للاستقلالية الفردّية ولتأكيد قيمة الجماعة.

وتستحق الاقليات الإثنو- ثقافية على وجه الخصوص مثل تلك الحماية لأن وجودها مهدد أكثر من غيرها، ولهاايضاً أسلوباً جماعياً في العيش يحتاج إلى الجماعة. فعلى خلاف الأغلبية لم

[١] المرجع نفسه، ص٤١٩.
[٢] ويل كميلكا، مدخل إلى الفلسفة السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص.٤٢٠

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

تستسلم بعد الأقليات الإثنو- ثقافية أمام الفردانية الليبرالية وحافظت على نمط من العيش الجمعي المنسجم. ولقد هيمن هذا الجدل حول أولوية الأفراد أو الجماعات وحول إمكان إرجاع أحدهما إلى الآخر على كتابات المبكّرة حول التعددية الثقافية. فالمدافعون عن حقوق الأقليات يعترفون بأنهم في تناقض مع الاعتناق الليبرالي للنزعة الفردانية الأخلاقية ولفكرة الاستقلالية الفردية ويُشددون على أن ذلك دليل على قصور المتأصل في الليبرالية[١].

لهذا إنقاد في البدأ المدافعون عن التعددية الثقافية إلى الموقف الجماعاتي باعتباره الأساس الفلسفي الممكن لحقوق الأقليات. كما أن التطوّر الطبيعي للجماعاتية أخذها صوب تبنيّ شكل من التعددية الثقافية. وتبنت الموجة الثانية موقفاً أكثر اعتدالاً، يتمثل في القول أن الليبرالية بتأكيدها على مبدأ الاستقلالية الذاتية للفرد لا تُلائم المجموعات المُتشبثة بحياتها الجماعية الخاصة بها والتي توجد داخل المجتمعات الليبرالية. وفعلاً يسوق ذلك على وجه الخصوص، بعض حقوق الأقليات – كما نراها لاحقاً عند تشالز تايلور – كأمثلة تجسد على صعيد الواقع اطروحة الجماعاتية وهي في طور الإنجاز، وكمظهر من مظاهر سياسة الخير المشترك. وسياسة كهذا لا تكون ممكنة لا على الصعيد القومي ولا على صعيد الأغلبية[٢].

عموماً، حظيت التعددية الثقافية برواجٍ واسعٍ في الكثير من الدول؛ كونها مصطلحاً يتميز بتعدد ثقافي مشتق في الاصل من المجتمعات ذات جماعات ثقافية متنوعة، وهو مصطلح أقترن من حيث المبدأ بقيم المساواة والتسا مح والأنفتاح على المهاجرين من خلفيات متباينة عرقياً، إذ تمثل مذهباً أجتماعياً وبديلاً إيجابياً عن سياسة الإدماج الذي يلتزم بسياسة الأقرار بحقوق المواطنين والهويات الثقافية لجماعات الأقليات العرقية وإثبات قيمة التنوع الثقافي. وأول الشعوب التي افادت من هذا الوضع، هم الشعوب الأصلية، وقد تحققت مطالبهم في سبعينات القرن الماضي من خلال الاعتراف بحقهم في الوجود كجماعات متميزة في المجتمع وأستفادت من نظام الاعتراف، أيضاً مجموعات وطنية مقيمة في منطقة محددة جداً ذات طابع ثقافي خاص ومتميز عن باقي المجتمع مثل(الكيبكيين في كندا والباسك في أسبانيا...) وغيرهم[٣].

---

[١] المرجع نفسه، ص ٤٢٠.
[٢] المرجع نفسه، ص٤٢١.
[٣] طوني بنيت ولورانس غروسبيرغ، مفاتيح اصطلاحية جديدة،ت.سعيد الفاتحي،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٠، ص١٩٦.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

إن الاعتراف بوجود التعددية يعني اولاً : أعترافاً بوجود تنوع ووجود عدة دوائر للأنتماء في المجتمع ضمن الهوية الواحدة،ويعني ثانياً احترام هذا التنوع وقبول ما يترتب عليه من خلاف واختلاف في العقائد والألسنة والمصالح وأنماط الحياة،ويعني ثالثاً إيجاد صيغ ملائمة للتعبير عن ذلك التجربة في أطار مناسب[١].وقد وصلت درجة الاعتراف بهم الى حد المطالبة بحق السيادة الترابية(مطالبين بالاستقلال الذاتي)[٢].

وقد طرأ على الجدل الفلسفي حول التعددية الثقافية تغيّر جذري في السنوات الأخيرة من القرن العشرين من حيث مداها ومصطلحاتها الأساسية، فقد اشتغلقليل من الفلاسفة والسياسيين وأصحاب النظريات السياسية في هذا المجال، حتى منتصف الثمانيات من القرن الماضي. وطوال هذا القرن أعتبرت مسائل الأثنية مسائل هامشية لدى الفلاسفة السياسين، ولكن، وبعد عشرات السنوات من الإهمال النسبي، قفزت مسألة التعددية الثقافية الى واجهة النظرية السياسية. وذلك لأسباب وعوامل عدة والتي بلغت أوجها في بداية تسعينيات القرن الماضي،ومن تلك الأسباب والعوامل :أنهيار الشيوعية، إذ أطلق العنان في أوروبا الشرقية لموجة من الحركات القومية ذا ت الطابع الأثني فأثرت على نحوٍ كبير في مسار الدمقرطة، فضلاً عن وجود عوامل أخرى داخل الديمقراطيات العريقة،جعلت القضايا الأثنية تصبح أساسية ورد فعل عنيف لأصيلي الديمقراطيات الفرعية ضدّ الوافدين على بلدانهم من المهاجرين واللاجئين وعودة الحركة السياسية للسكان الأصليين للبروز وهو ما أدّى الى صياغة مسودة أعلان الأمم المتحدة لحقوق الإنسان الأصليين وأستمرار تهديدات بالإنفصال داخل الديمقراطيات الغربية في كندا(كيبك) مثلاً وفي بريطانيا(سكوتلندا) وفي أسبانيا (الباسك) ... وغيرهم .فالديمقراطيات الغربية لم تنه التوترات التي يسببها التعدد الإثنو- ثقافي. وعليه ليس من المفاجيء عندئذ أن يحول المختصون في النظرية السياسية أهتمامهم أكثر فأكثر صوب هذه القضايا والأعتراف بها[٣].

ووفقاً لمنظور أنصار التعددية الثقافية-وفقاً لمنظور كميلكا- فأنها ليست مقتصرة على قضية الاعتراف الرمزي أو سياسة الهوية تجاه الأقليات، بل إنها تتعامل أيضاً مع قضيتي السلطة وتوزيع الموارد. إذ تشدد التعددية الثقافية على وجوب قيام الدولة بإعادة هيكلة بنيانها، وذلك

[١] للمزيد ينظر: سعد الدين أبراهيم،التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي،منتدى الفكر العربي،عمان،١٩٨٩،ص١٢١.
[٢] باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي،مرجع سبق ذكره،ص١٦.
[٣] ويل كيملكا، مدخل الى الفلسفة السياسية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص٤١٨.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

بخلق وحدات سياسية جديدة تمكن الأقليات من ممارسة أستقلالها الذاتي. وتشكل الأقليات الثقافية وقضية أنقسامها للسلطة السياسية والموارد الأقتصادية مع الأكثرية المهيمنة، الموضوع الرئيسي للتعددية الثقافية[١]، الأمر الذي يقضي بدوره فهم(المراد بالثقافة)، إذتوفر الثقافة منافع عدة لأعضائها، فمن جهة توفر بيئة ملائمة يتمكن فيها الأفراد من ممارسة حرياتهم وإختيار فرصهم في الحياة،وإن نوع خيارات الفرد ونطاقه يختلف بأختلاف بيئة الفرد وتنشئته الثقافية. ومن جهة ثانية هناك منفعة إجتماعية أخرى توفرها الثقافة وهي أحترام الذات،وتعني الإحساس الذي جعل من طريقة المرء في الحياة طريقة تستحقالعناء، فأحترام الذات هو شرط ضروري لجعل أنشطة الفرد في حياته أنشطة غائية وبالتالي فإن غياب هذا الشرط يؤدي الى جعل هذه الخيارات(اي حريتهم) عديمة القيمة[٢].

المطلب الثاني

رؤية الا تجاهات الفكرية من التعددية الثقافية (ويل كميلكا أ نموذجاً)

تعني الثقافة، وفقاً لأنصار التعددية الثقافية من أمثال(باريخ Parekh) إذ أن الثقافة عنده تعني جُملة المعتقدات والآراء التي يشكلها البشر حول معنى وأهمية الحياة الإنسانية. وبعبارة أخرى هي طريقة فهم الحياة الإنسانية وتنظيمها، وإتساقاً من هذا المنظور، يعود كيملكا إلى أستخدام مفردة الثقافة على نحوٍ أكثر تحديداً، ويجعلها رديفة لمفردتي"الأمة" و"الشعب" بحيث أنه يعني"وجود مجتمع مندمج ومتكامل نسبياً، يقطن أقليماً أو منطقة معينة، ويتقاسم أعضاؤه لغة وتأريخاً مميزين. وتبعاً لذلك، تغدو الدولة المتنوعة ثقافياً غذا انتمى اعضاؤها إلى أمم متباينة، فتكون الدولة بذلك دولة متعددة القومية، أو كان أعضاؤها أصلاً مهاجرين من أمم أخرى، فتصبح الدولة بذلك دواة متعدد الإثنية[٣] . وعليه يشدد دعاة التعددية الثقافية على وجوب التعامل مع تنوع الجماعات الثقافية بعّدها حقيقة واقعة، ومع هذا فهناك أختلاف حول رؤية الأتجاهات الفكرية الأخرى من التعددية الثقافية وطروحاتها وهي ما سوف نستعرضها بنوع من الإيجاز.

---

[١] حسام الدين علي مجيد، اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠، ص١٨٧-١٨٨.

[٢] المرجع نفسه، ص١٨٩.

[٣] حسام الدين علي مجيد، اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص١٨٨

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

مما لا شك فيه، لتوضيح المواقف والاتجهات الفكرية من التعددية الثقافية، لابُد من تبيان موضوع التعددية الثقافية، كخطوة أولى، ووفقاً لمنظور انصارها. فالتعددية الثقافية التي ظهرت وتطورت في الغرب، كما اسلفنا اليه سـ ابقاً. جادل كميلكا في هذا الصدد بقول" ان التعددية الثقافية ليست مقتصرة على قضية الاعتراف الرمزي أو سياسة الهوية تجاه الأقليات، بل أنها تتعامل أيضاً مع قضيتيّ السلطة السياسة وتوزيعها للموارد"[1]. يبدوا هذا القول تأتي جلياً وبشكل خاص من منظور كميلكا عن التعامل مع الأقليات القومية والسكان الاصليين-كما نراها لاحقاً- ويحاجج بأنه إذا تشدّد التعددية الثقافية على وجوب قيام الدولة بإعادة هيكلة بُنيانها، من خلال خلق وحدات سياسية جديدة تُمكن الأقليات من ممارسة استقلالها الذاتي. ومع هذا التوجه، كان هناك وجهات ومواقف فكرية تختلف مع كميلكا في حججه. ويمكن تقسيم تلك المواقف إلى:

أولاً: موقف اليسار :

يتوزع هذا الموقف على إتجاهين، الأتجاه الأول هو اليسار الليبرالي، ولا سيما الأتجاه المجتمعاتي ومن ابرز دعاته(مايكل ساندل)، فهو يتفق مع أنصار التعددية الثقافية في إن الجماعة لا تعبر عما يتمتع بهِ أعضاؤها بكونهم شركاء في المواطنة، بل هي تعبير عن ماهيتهم وتجسيد للرابطة التي يكتشفون إنها تجمعهم وتشد بعضهم الى البعض، فهي لذلك ليست مجرد خاصية، بل أنها المكون الذي يتم بموجبه إنشاء الهوية التي يحملونها وبلورتها. باعث ذلك هو أن الذات إنما تتكون بواسطة غاياتها، فهي لاتنشأ عن الأختيار، بل تنشأ عن التأمل والتفكير في الذات، وعلى هذا الأساس، يغدو بامكان النظر الى التنظيم الإجتماعي من زاوية محاولة رامية الى خلق الفرص أمام البشر بغية أختيار ما أكتشفوه في ذواتهم والعالم المحيط بهم ومن ثم إقناع الآخرين بأهميته وقيمته[2].

أما الإتجاه الثاني فهو اليسار الاشتراكي، ويكاد انصاره يرفضون نظرية التعددية الثقافية جملةً وتفصيلاً. فوفقاً للباحث البريطاني(كينان مالك Kenan Malik)، ليست المشكلة في القبول بالتعددية عموماً، أو التعددية الثقافية خصوصاً "بل المشكلة تتجسد في اللامساواة، وذلك لأن

[1] المرجع نفسه، ص١٨٩.
[2] نقلاً عن:حسام الدين علي مجيد، اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص١٩٠.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

القبول بالتعددية هو في جوهره إقرار مجتمعية اللامساواة ورسوخها. ويجادل إن هذا لايعني إننا نرفض القبول بالتعددية، أي بمعنى رفض ذلك المجتمع الذي يتمتع فيه الجميع بحق حرية التعبير سياسياً وثقافياً ودينياً، بل إن ما نخشاه هو التمييز والتعصب"، وذلك على الاعتبار مفاده أنه في مجتمع المساواة فقط يمكن للاختلاف والتمايّز ان يكونا ذو قيمة، لأن هذا المجتمع يتم اختيار الاختلاف والتمايّز بكل حرية[1]. اما في مجتمع اللامساواة، فإن ممارسة الاختلاف تعني العمل على ترسيخ التفاوتات، ففي المجتمع الأول يتمتع المواطنون بكامل الحرية في ممارسة قيمهم المتباينة وأنماط حياتهم المختلفة ضمن نطاق مجال حياتهم الخاص. بينما النقيض من ذلك هو مجتمع اللامساواة، أي مجتمع التعددية الثقافية، وفي إطاره يصبحُ الحق في ممارسة دين ما، والتكلم بلغة ما، وتبني ثقافة ما، بمثابة مصلحة عامة بدلاً من النظر إليها على أنها حرية شخصية. ولن يُفضي ذلك إلا إلى تحقيق المزيد من اللامساواة والتسويغ في الوقت نفسه لعدم المساواة ما بين الأفراد.لذا يرفض التعددية الثقافية بدعوة إنها تؤدي عملياً الى اللامساواة، بحيث إن العمل به يقود الى تضيق الحرية الشخصية لصالح المساواة بين الجماعات. وعليه يمكن القول إن اليسار الليبرالي، إنما يسعى من أجل نقل فكرة العمل بالمساواة من المستوى الفردي الى المستوى الجماعي، أي العمل بالمساواة ما بين مختلف الجماعات والثقافات الى جانب المساواة الفردية، وذلك لإعتقاد هذ ا الأتجاه بأن الليبرالية تعاني القصور فكرياً فيما يخص التعامل مع التنوع بحكم ان تركيزها على الفرد والحرية الفردية ناجم أصلاً عن اقتناعهم بكون الذات سابقة على غياتها، وأن الفرد بالتالي هو الذي يشكل المجتمع، وليس العكس. بينما اليسار الاشتراكي في إتجاهه العام يعارض التنوع الثقافي من زاوية أن الثقافة أصلاً نتاجٌ عرضي للظروف المادية، وبالتالي فإن العمل بطروحات التعدييية الثقافية سيَفضي إلى ترسخ واقع اللامساواة اجتماعيا واقتصادياً[2]

ثانياً: موقف اليمين :

يتفق أصحاب هذا الإتجاه على رؤية التعددية الثقافية من زاوية كونها أيدولوجيا سياسية وقائمة على فكرة إن جميع الثقافات، بعاداتها ومؤسساتها "متساوية" بصورة جوهرية،وأنه ليس

[1] المرجع نفسه، ص١٩١.
[2] ينظر: حسام الدين علي مجيد، مرجع سبق ذكره، ص١٩٤.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

هناك ثقافة أعلى مكانة أو أدنى مقاماً بالنسبة الى ثقافة أخرى، بل إن الثقافات متفاوتة فقط من حيثالعادات والمؤسسات ليست إلا. وتأسيساً على هذا الأعتقاد، يرى أنصار هذا الإتجاه على إن التعددية الثقافية قد عملت وحسب في السنوات الأخيرة على تقسيم السكان الى جماعات إثنية متنافسة بحيث لم تعد أية جماعة منها تشعر بأنها تتقاسم مع غيرها روابط مشتركة. وغدت سياسة إعادة توزيع الموارد الأقتصادية سياسة غير مقبولة، إذ يشعر الناس فيها بإن عليهم تقاسم الثروة مع الغرباء[١]. ولمنع تلك التقسيمات السكانية يطرح اليمين الليبرالي إن تقنيات الأتصال ستعمل على تشكيل ثقافة مشتركة تذوب فيها الأقليات الثقافية، ومن ثم يتحول الولاء من الجماعات الى الدولة ومؤسساتها. هذا ما يرفضه الجماعاتيون وأنصار التعددية الثقافية أمثال كميلكا ويعدونه طرحاً غير عادل، وليس أساساً فلسفياً للتعامل مع التنوع الثقافي[٢].

بشكل عام، تتوزع طروحات اليمين الليبرالي على فكرتين رئيسيتين: الأول، هو رفض المساواة الثقافية، أي رفض فكرة التعامل مع جميع الثقافات، سواء بسواء، لأن اليمين الليبرالي يعتقد أصلاً بعُلو مقام الثقافة الغربية مقارنةٍ بغيرها من الثقافات. والثانية، اعتباره للتعددية الثقافية مجرد شكل جديد من النزعة العرقية، وإن العمل بها سيفضي إلى تقويض المجتمع من أركانه وتحويله إلى جماعات متصارعة لا يجمعها جامع[٣].

ثالثاً: التعددية وفق رؤيا ويل كميلكا بين (اهمية الانتماء الثقافي والحرمان)

يعد كميلكا من أهم مفكري السياسة المعاصرين والمعروفين بأصحاب النزعة الثقافية القائلة بضرورة الالتفات الى ظواهر التعددية الثقافية والانتماء الثقافي عند الاشتغال على تحقيق العدالة الليبرالية السياسية في دولة متعددة الثقافات، إذ لا بد من تغطية الحقوق العامة والمعنية بالأفراد بغض النظر عن انتمائهم الجماعي، الى جانب الحقوق الجماعية أو المكانة الخاصة للأقليات الثقافية،وانطلاقاً من مبدأ المواطنة الليبرالية بوصفه معياراً وحيداً للتعامل مع الأفراد على أساس المساواة التي لا يمكن مقارنتها إلا بوقوف الدولة على مسافة واحدة من

[١] المرجع نفسه، ص١٩٤-١٩٥.
[٢] للمزيد ينظر: احمد عبدالحافظ، الدولة والجماعات العرقية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ٣٧-٣٩.
[٣] حسام الدين علي مجيد، المرجع نفسه، ص١٩٦.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

الخصوصيات الثقافية والجماعاتية الأثنية، في صيغة سياسة دستورية اصطلح على تسميتها "الدستور المحايد عرقياً"[١] . عموماً، يُعد حياد الدستور ثقافياً، في السياق الليبرالي المعاصر، من أهم المشكلات المُثارة بين الليبرالية السياسية التي يمثلها المساواتيين، والتي تشتغل على تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال سياسة إعادة التوزيع، من جهة، والليبرالية التعددية الثقافية التي تُفضي إلى ما يسميه البعض " سياسة الاعتراف" بواقع التعدد الثقافي والمظالم التي ظلت تلحق بالأقليات، في ظل النظم الليبرالية الدستورية القائمة على أساس المواطنة والحريات والمساواة من جهة أخرى[٢].

يصوغ كميلكا منظوره الليبرالي للعدالة بناءً على فكرة تجمع بين الاستقلال الذاتي والثقافة[٣]، باعتبار إن الثقافة هي القاعدة التي يرتكز اليها الأستقلال الذاتي للفرد. لكن كيف يوفق كميلكابينهم ضمن أطار الليبرالية في العدالة؟ هنا يجيب كميلكا قائلاً "إننا بحاجة الى توضيح أمرين: أولهما أن الإنتماء الثقافي يحظى بمكانة مهمة أكثر مما هو متصور ظاهرياً في الفكر الليبرالي، بمعنى إن الأفراد هم جزء لا ينفصل عن البناء الأخلاقي لليبرالية، وينظر اليهم على أنهم أعضاء في مجتمع ثقافي معين وبالتالي سيشكل انتماؤهم الثقافي فائدة ذات أهمية كبيرة بالنسبة اليهم. وثانيهما: ان أعضاء الجماعات الثقافية التي توصف بـ(الأقليات) يواجهون أشكالاً معينة من الحرمان ذي صلة بفائدة الانتماء الثقافي ذاته متطلباً معالجة أشكال الحرمان تلك، وتبرر في آنٍ واحد وجود حقوق للأقلية. وهذا يعني أننا بحاجة الى تبيان فكرة أن الانتماء الى جماعة ثقافية يمكن أن يشكل معياراً رئيساً لتوزيع المنافع والأعباء" التي تعد محل تركيز وأهتمام النظرية الليبرالية في العدالة " ولكن كيف ذلك؟[٤]يعمد كميلكا الى أيضاح مسألتين وهما:-

---

[١] عندما تعمل ا لديمقراطية التمثيلية وفقاً لأحكام الدستور، يحدد سلطات الحكومة. يكون هذا الحكم دمقراطياً دستورياً. وفي مثل هذا المجتمع يكون حكم للأغلبية وتكون حقوق الأقليات محفوظة ومصانة بالقانون والمؤسسات الدستورية. إن ديمقراطية الليبرالية هي نظام حكم الأغلبية، ولكن هذه الأغلبية ليس بوسعها ان تفرض ما تشاء أو تُشرع ما تهوى، أنها اغلبية تواجهها أقلية مدعومة بمجموعة من الحقوق والحريات(حرية الكلام والتعبير، حرية الديانة، حرية الاجتماع والإنتماء إلى الجمعيات ومنظمات... وغيرها من الحقوق). للمزيد ينظر: حسام باقر الغرباوي، الليبرالية: نظرة في منطلقاتها الفكرية وآفاقها المستقبلية، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جلمعة بغداد، ٢٠١٨، ص٣٦.

[٢] ينظر: محمد عثمان محمود، العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤،ص٢٩٢.

[٣] ينظر: حسام الدين علي مجيد،مرجع سبق ذكره، ص٢٣٣.

[٤] نقلاً عن حسام الدين على مجيد، مرجع سبق ذكره،ص٢٣٤.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

١- اهمية الانتماء الثقافي

حسب تعبير كميلكا للثقافة المجتمعية إذ انها الثقافة المُتَمركزة إقليمياً،تقوم على أساس لغة مشتركة ومستخدمة على نطاق واسع في المؤسسات المجتمعية،وعلى صعيد الحياة العامة والخاصة، بشكل يجعل الناس مشدودين الى جماعاتهم الثقافية بصورة وثيقة جداً بحيث لن يكون بالمقدور أجتثاثهم من ثقافتهم او حذف ماتلقاه المرء من تربية وتوجيه منذ سن الطفولةوالغائه، بل سيبقى ذلك جزاء راسخاً في شخصيته، وبهذا فإن الانتماء الثقافي يؤثر بشكل فعال في هويتنا وقدرتنا الشخصية.سبب ذلك التأثير يعود أولاً الى إن الثقافة تعمل على تعيين نطاق عالمهم وبنائه،فتساعدهم بذلك على أتخاذ قرارات صائبة بخصوص ما هو قيم بالنسبة اليهم في حياتهم. ثم ترشدهم إلى تأدية الأدوار الجديرة بالاهتمام، فتقدم لهم الخيارات الهادفة، وتُرشد قراراتهم ذاتالصلة بكيفية عيش حياتهم، وكذلك توفر للأفراد الأرضية الأمنة والضرورية لتطوير قدرتهم على الاختيار،(تشدد هذا المقولة على دور الثقافة في بناء الأستقلال الذاتي).أما الثاني: فهو أن الثقافة تهب الافراد حّس الهوية،فهي توفر لهم مصدراً غير مشروط وشامل لتقويةالأنتماء والأرتباط بعضهم ببعض، وتسهل إمكانية التفاهم المتبادل وتعزز التضامن الإجتماعي والثقة فيما بينهم. وتركز هذه المقولة على إسهام الثقافة في سعادة الإنسان وبناء مجتمعات مستقرة[١].

ويلخص **كميلكا** فكرة أهمية الثقافة التي تكمن في أن معتقدات الأفراد وآرائهم في تحديد ما هو قيم وجدير بالممارسة في الحياة، إنما هي معتقدات وآراء مستمدة من موروثهم الثقافي.

٢- الحرمان الثقافي

يعارض الليبراليون عموماً منح أية حقوق للجماعات أستناداً الى الأنتماء الثقافي للفرد، معتقدين بأن منح الحقوق أعتماداً على ا لأنتماءالثقافي سيخلق بالضرورة تفاوتاً راسخاً ذا طبيعة أعتباطية وأخلاقية ما بين المواطنين وذلك يتوزيعهم الى فئتين(مواطنين من درجة اولى وثانية). وبغية تلافي مثل هذا الوضع، طرح الليبراليون المعاصرون فكرة حيادية الدولة القائلة بوجوب عدم لجوء الدولة الى مكافئة أو معاقبة أي معتقد من المعتقدات ذات صلة بالحياة الكريمة. في مقابل ذلك يرى كيملكا أن العمل بحيادية الدولة يُخل التوازن الذي يراد تحقيقه ما بين الجماعة المهيمنة ثقافياً والجماعات الخاضعة لها وتعمل تلك الحيادية على ضمان حيازة

[١] للمزيد حول هذا الموضوع ينظر:المرجع نفسه، ص٢٣٥.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

الجماعات الخاضعة عدداً محدداً جداً من الخيارات في سياق تفاعلها المتبادل مع الجماعة المهيمنة وكيفية مجابهة ما تتمتع بها الأخيرة من سيطرة وتفوق. وبذلك تغدو حيادية الدولة مجرد آلية بيد الجماعة المهيمنة لحماية ثقافتها وتعزيز شأنها على حساب الجماعات الأخرى داخل نطاق(الدولة - الأمة)[1].

وتأسيساً على ما تقدم، يؤكد كميلكاان التقليل من شأن تلك الإهتمامات من قبل الدولة سيؤدي الى شعور أعضاء تلك الجماعة بالضرر حتى إذا تم أحترام حقوقهم المدنية والسياسية الأساسية، وفي حال فشلت مؤسسات الدولة في الاعتراف بثقافة جماعة ماوهويتهم وعدم أحترامهما، فسيؤدي الى نتيجة متمثلة في الاضرار البالغ بأحترام الجماعة لذاتها وشعورهابالأنتماء وبالتالي، لا تغدو الحقوق الجماعية بمثابة امتيازات غير عادلة أو أنها شكل من أشكال التميز العرقي الذي يثير الأستياء والتعصب لدى الجماعة المهيمنة تجاه الأقليات الثقافية، بل من الممكن رؤية الحقوق الجماعية من زاوية انها تعويض عن الحرمان الجائر الذي لحق بالأقليات.

من جهة أخرى يرى كميلكا ضرورة التعامل مع حقوق الإنسان وحقوق الأقلية معاً بوصفهما عنصرين متكافئين من حيث الأهمية في الدول المتعددة الأثنيات والثقافات، بحيث أن حقوق الأقليات تتجاوز من جهة تلك المجموعة المألوفة من حقوق المواطنة الحديثة والسياسية(التي هي مضمونة أصلاً في جميع الديمقراطيات الليبرالية). ومن جهة ثانية يتم أعتمادها بهدف الاعتراف بالهويات والحاجات المميزة للجماعات الأثنية والثقافية. ومن جهة ثالثة، فإن حقوق الأقلية هي من الأمور الضرورية لتحقيق العدالة[2].

وعليه يمكن القول إن أتجاه التعددية الثقافية يحاول إحداث تغير نوعي في البناء الفكري الليبرالي، سعياً لتجاوبها مع التغيرات الثقافية والديمقراطية الحاصلة في المجتمعات الغربية.

المبحث الثاني

التعدية الثقافية بين الاعتراف والانتقاد

رأينا فيما سبق، كيف دافع كميلكا، كأحد أهم المدافعين عن النزعة الثقافية، وجعل من ظاهرة التعددية الثقافية والانتماء الثقافي شرطاً لازماً لتحقيق العدالة وتأمين الحرية في دولة

[1] ينظر: حسام الدين علي مجيد، مرجع سبق ذكره، ص٢٣٨.
[2] المرجع نفسه،ص٢٣٩-٢٤٠.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

متعددة الثقافات وقدم حججه من أجل تحقيق مبدأ المواطنة من جانب، وضرورة واحترام حقوق الأقليات، من جانب آخر. واصبح اللغة المنفتحة للتعددية الثقافية إلى ادراك واضح واهتمام بالعلاقة التي ما برحت تزداد اشكالية وانفصالاً بين العنصر والعرقية والهوية الوطنية في آواخر القرن العشرين وبواكير القرن الحادي والعشرين، وهذا ما يشير ايضاً لماذا بقيت الـ تعددية الثقافية مفهوماً خلافياً وموضع الجدل والنقاش بين من ايدوها، ومن انتقدوها. هذا الاشكالية يجعلنا ان نستنبط فيها في هذا المبحث.

المطلب الأول

سياسة الاعتراف عند تشارلز تايلور

فيما سبق ذكره، تبين أن دعاة التعددية الثقافية وبعض الجماعاتيين يعتقدون بضرورة جعل الثقافة جزءاً من المجال العام، وذلك من خلال توسيع نطاق الحرية ومساواة الليبراليين لصالح الأقليات الثقافية، ثم مطالبة الدولة بضمان تحقيق ذلك عبر منح هذه الأقليات حقوقاً جماعية تكفل لها استمرارية ثقافتها. هذا التوجه الفكري يخالف بعض الليبراليين الذين يؤمنون بفكرة حيادية الدولة من خلال جعل الثقافة شأناً خاصاً بالفرد دون دخولها المجال العام[1]، لأن العمل بالضّد من ذلك سيقود الى شيوع اللامساواة وتشظية الدولة-الأمة في نهاية المطاف ومن أجل تفادي ذلك، يطرح (تايلور١٩٣١). مجموعة من المفاهيم والطروحات وهذا مانسلط الضوء عليها كالآتي:-

أولاً: سياسة الاعتراف

بادىء ذي بدء،عند الحديث عنسياسة الاعتراف، لابُد من إثار سؤال جوهري لطالما كان يتعلق بكيفية التوفيق بين الحرية الفردية للمواطنين جميعاً والاعتراف العلني بخصائصهم

[1] كان هناك موقفان بصدد هذه الاشكالية، الأول، وهم المدافعون عن نزعة التعددية الثقافية(وهم من الجماعاتين) يدافعون بأن البلدان الديمقراطية اليوم اغلب المجتمعات التعددية، والمشاركة الديمقراطية الكاملة تقتضي ترجمة هذه التعددية في قوانين الدولة ومؤسساتها العامة والخاصة(اي جعل الثقافة جزءاً من المجال العام). اما المدافعون عن الديمقراطية الليبرالية، فيرون في الدعوى السابقة ارتداداً إلى اقتحام المجال الخاص في المجال العام وركوب(حصان طروادة) الثقافي لتقويض الدولة العلمانية، والقيم الثقافية الغربية، التي على المواطنين الجدد أن يندمجوا فيها، ويصبحو بوتقة صاهرة. ينظر: علي أمليل، من التسامح إلى التعددية الثقافية،في (مجموعة من المؤلفين، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية)، تحرير.عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣، ص١٠٤.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

الثقافية التي تعدّ جماعية؟ وهل من حق ثقافات الأقليات الحصول على الاعتراف والحقوق؟ بشكل عام، يرى الجماعاتيون إن المواطنة التقليدية والإدارة الكلاسيكية للتنوع اصبحت غير فاعلة لضمان وجود ديمقراطية حقيقية، لعدم قدرتها المحافظة على الأفراد بوصفهم أفراداً في ذواتهم وحاملين تاريخاً وثقافة. من أجل ذلك، طرحوا سياسة الاعتراف بدلاً من سياسات الاستيعاب للجماعات التي انتهجت باسم المواطن[١]. وعليه، نَتجَ من خطاب الاعتراف أطرٌ مختلفة للتعددية الثقافية لم يكن سؤالاً حاظراً في سياق تشكل دولة المواطنة المدنية[٢]، وبالتالي لم يتعاط الفكر السياسي الحديث معه، بل ركزوا على مفهومهم القديم للعقد الاجتماعي بين المواطنين والدولة، وعلى حقوق الفرد السياسية وبناء دولة وطنية. لذلك لم تظهر إلا في العقود التي تلت الحرب العالمية الثانية، والعقود الثلاثة الأخيرة كحاجة املتها التحديات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة الحديثة، وخرجت ايضاً ضد حيادية الدولة الليبرالية ثقافياً[٣].

فالسؤال المطروح إذن هنا: أين تكمن ماهية سياسة الاعتراف؟ وكيف برزت؟يتمثل الاعتراف المؤسساتي والدستوري بهوية المجموعات الثقافية، أحد أهم تجليلات النضال من أجل الحرية في الحقوق هذه المجموعات. طورت سياسات الاعتراف مفهوم حق تقرير المصير الذي ظل منحصراً في النضال القومي من أجل الحرية والاستقلال إلى حق تقرير المصير بصفته حقوقاً جماعية تمر عبر سياسات الاعتراف والتعددية الثقافية في الدولة القومية الإثنية من جهة، وفي دولة المواطنين الليبرالية، من جهة ثانية. واقترحت سياسات الاعتراف تعاملاً متبايناً مع المجموعات الثقافية بهدف النهوض ومساواة المجموعات المهمشة ثقافياً وسياسياً واقتصادياً مع المجموعات القوية، والموارد التي تسعى سياسات الاعتراف لتحقيقها في سبيل المجموعات المهمشة تشمل موارد ثقافية جماعية، مثل السردية التاريخية وتمثيل ثقافتها في المجال العمومي والحفاظ على انماط حياتها الخاصة وإعادة الاعتبار اليها[٤].

---

[١] دومنيك شنابر وكريستيان باشولييه، ما المواطنة؟ ت. سونيا محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦، ص٢٨٨.

[٢] يُشير هذا المفهوم(دولة المواطنة) بأن العلاقة التي تربط المواطن بالدولة، هي علاقة غير منفصلة، بل متكاملة وتاريخية. تطورت بموجب الدولة وظيفياً، وتؤثر ديناميكية هذه العلاقة بمتغيرات قانونية وبيئية على مر الزمان والتاريخ. ومن هذا المنطلق، فإن الإشارة إلى مرحلة الدولة الدينية واجتياءها وصعوبات المرحلية وأدوات تجاوزها تعد المناخ الأساسي لمعرفة دولة المواطنة. للمزيد حول هذا المفهوم ينظر: أميد رفيق فتاح، اشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر، دار سردم للطباعة والنشر، السليمانية، ٢٠٢٠، ص٢٥.

[٣] مهند مصطفى، سياسة الاعتراف والحرية، مجلة تبين، العدد(١٧)، صيف(٢٠١٦)، ص٩١.

[4] Zoe Morrison, " Social Inclusion and the Politics of Recognition", Social Policy Wrking Paper,2010,P12. مقال متاح على الرابط http://www.Library.bsI.org.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

تنطلق سياسة الاعتراف من زعم ان الخصوصية الثقافية الجماعية للمجموعات الثقافية، هي جزء من الحرية الليبرالية، فالحقوق الجماعية تعد تطويراً لمفهوم الحرية الفردية في الفكر الليبرالي. وبرز اهتمام نظري بسياسات الاعتراف في اعقاب صعود المطالب الجماعية للمجموعات الثقافية كجزء من الحفاظ على الخصوصية والهوية في إطار دولة قومية ذات هيمنة ثقافية احادية في المجال العمومي، وانحياز الدولة إلى المجموعة المُهيمنة. لذلك، كان صعود سياسات الاعتراف اسئنافاً لانحياز المجال العمومي والدولة معاً لمصلحة مجموعة واحدة[1].

وعليه نرى، وبكل بساطة، ان سياسات الاعتراف تعمل على استحضار الخصوصية الثقافية للمجموعات المشكلة للمجتمع المدني في المجال العمومي، من جهة، واعتراف الدولة بالهوية الثقافية للمجموعات، من جهة اخرى. وقد ارتبطت التعددية الثقافية بمسألة المواطنة أيضاً، باعتبارها مركّباً مهماً من مركّبات الدولة المواطنية التي تعترف بالثقافات المختلفة بغية تعزيز قيم المواطنة في حقوق ابناء هذه المجموعات، وكجزء من تطوير للحرية يفترض ان الهوية مركّب من مركّبات الحرية الفردية التي لا يمكن ان تعبّر عن نفسها، إلا في إطار مجموعة ثقافية. ورأينا سابقاً كيف طور كميلكا منظومة التعددية الثقافية الليبرالية تعبيراً عن هذا الدمج بين الهوية الفردية كجزء من الحريات الفردية الليبرالية، والاعتراف بثقافة المجموعة كإطار يحمي حرية الفرد الفردية والثقافية. ويحقق ذاته وحريته في إطار المجموعة الثقافية التي ينتمي اليها.

ثانياً: المبادىء المرتبطة بسياسة الاعتراف

ترتبط سياسة الاعتراف بصورة وثيقة بمبادىء سياسية أقدم عهداً وأوسع أنتشاراً هي في الاساس متعلقة بالعدالة الأجتماعية، وإعادة توزيع الموارد الأقتصادية وإن هذا المطلب لم يكن فقط مجرد قضية اقتصادية، بل ضمّ في ثناياه برنامجاً ثقافياً سواء بصورة صريحة أم ضمنية. ودليل ذلك أن الاشتراكية لم تقتصر طروحاتها على توفير ظروف وفرص اقتصادية أفضل للفقراء وا لمحرومين، بل اشتملت أيضاً على خلق ثقافة جديدة وأشكال جديدة من العلاقات الاجتماعية. وبالتالي، فأن الاتجاهات الداعية إلى سياسة الاعتراف قد تبدو أحياناً معنية حصرياً بقضية الهوية والتباين الثقافي، ولكن أنصارها يدركون أن هذه القضية لا يمكن فصلها عن الانساق والهياكل الاقتصادية والسياسية. والسبب في ذلك يتمثل في أن تقييم الهويات يتم بالاستناد إلى مكانة

[1] مهند مصطفى، سياسة الاعتراف والحرية، مرجع سبق ذكره، ص٧٨.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

المنتمين إليها في هيكلية السلطة، وأن إعادة تقييم تلك الهويات يقتضي إحداث تغيرات في هيكلية السلطة عينها[١].

يعد تايلور أول من تطرق إلى مفهوم سياسة الاعتراف في مقالته التي حملت الأسم ذاته ونشرت عام ١٩٩٤ . خلافاً عن اليمين الليبرالي الذي يكتفي بتمسك بفكرة حيادية الدولة، ويرفض من حيث المبدأ فكرة الاعتراف الرسمي بالتباينات الثقافية، إذ يعتقد تايلور بوجوب احترام التنوع الثقافي، وحماية الدولة لحقوق الأقليات بما لا يتعارض مع الحقوق والحريات الأساسية للفرد. ويعتقد أن السياسة المعاصرة باتت تتشكل من خلال مطالبة الأفراد والمجموعات المقموعة أو المهمشة بالاعتراف، معدّاً الاعتراف حاجة اساسية وجوهرية وله دور كبير في تشكيل الهوية الإنسانية[٢] ويعتقد ان سياسة الاعتراف جاءت نتيجة تحولّين في المجتمع الغربي وتراتبه الأجتماعي، يتمثل التغير الأول، بالتحول من تَبني، الشرف الى تبني الكرامة، مما أدى الى بروز سياسة الشمولية التي تشدد على فكرة الكرامة المتساوية لعموم المواطنين وتحقيق المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، مستهدفاً الشمول دون وجود مواطنين من الدرجة الأولى ومواطنين من الدرجة الثانية مهما كانت التكاليف. أما التغير الثاني فتجسد في تطور الفكرة الحديثة عن الهويةمما أدى الى ظهور سياسة التباينا‌و سياسة الاعتراف، مُقِراً وجود هوية مميزة للفرد والجماعة[٣].

بحسب تايلور يذهب البعض، الى عَدّ سياسة الاعتراف بالتعددية، خيانة لشرعية الحياد السياسي. فالحياد السياسي يدعم معاملة جميع المكونات الثقافية على قدر من"المساواة". ووفقاً لمبدأ الكرامة الإنسانية الشاملة لا يقوم بأي استثناءات إزاء الاختلافات الثقافية فيميز إحداها من الأخرى. نجد أن تايلور يبرر هذه الأستثناءات السياسية بأعتبارها لا ترمي إلا الى حماية حقوق الأقليات بالعيش بحرية في كنف الأغلبية المسيطرة، ولا تقوم سياسة الاعتراف والتكيف مع الاختلافات إلا بالاستناد في نهاية المطاف إلى الأساس الأولي للكرامة الإنسانية. ومعنى ذلك إن سياسة الاعتراف لا تعاند المبادىء الأساسية المنبثقة من المساواة الشاملة، بل تنطلق من حيث اعترافها أولاً بكرامة الأفراد المتساوية. ومن ثم توسيع نطاق هذا الاعتراف ليشمل حقوقاً ثقافية

[١] حسام الدين على مجيد، مرجع سبق ذكره،ص٢٠٨.
[٢] مهند مصطفى، سياسة الاعتراف والحرية، مرجع سبق ذكره، ص ٨٤.
[٣] نقلاً عن: حسام الدين على مجيد، نفس المرجع، ص٢٠٩.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

متمايزة مساهماً في تحرير أفراد الأقليات من الإحباط وفي تحفيزهم على التفاعل سياسياً وإجتماعياً في السياق التأريخي الذي يقيمون فيه [١].

يتطلب العبور من مبدأ المساواة الشاملة إلى الاعتراف بالأختلافات الثقافية في واقع الأمر، منح اعتراف سياسي ووضع قانوني لحالة خاصة لا يشترك فيها إلا بعض الناس على وجه الحصر [٢]. الأمر الذي يقتضي من مبدأ المساواة العمل على الاعتراف بالخصوصية الثقافية وتمايزاتها وليس العكس [٣]. وينبغي التعامل من باب العدل والإنصاف مع كل المواطنين علىقدم المساواة. ويقتضي مفهوم العدالة التامة الأخذ بعين الاعتبار كل الخصوصيات وليس فقط تلك التي تميز الثقافة الزائدة [٤].

لتوضيح أكثر، يُجادل أنصار التعددية الثقافية أن الزعم الليبرالي بالفصل بين الدولة والإثنية وهم وخرافة، وبالتالي يجب تأويل مفهوم الأحترام المتساوي والفرصة المتساوية ذاتها ضمن سياقها الثقافي. وهناك ثلاثة قضايا يُثيرها أشياع التعددية الثقافية بحسبان إنهم يشكلون انشغالاتهم. القضية الأولى هو استثناء السيخ المعممين من ارتداء الخوذات أثناء قيادة الدراجات النارية، وقضية استثناء المسلمين واليهود من القواعد المنظمة للذبح الإنساني للحيوانات، وقضية غطاء الرأس التي منعتها القانون الفرنسي من ارتدائها في عام ١٩٨٩ [٥]. لتوضيح أكثر، نركز على القضية الأولى فقط، ففي أوائل السبعينيات صدر قانون في المملكة المتحدة يلزم راكبي الدراجات النارية بارتداء الخوذات. وعليه شن مؤيدو نزعة التعددية الثقافية حملة ضد هذا

---

[١] ساید مطر، مسائل التعددية والأختلاف في الأنظمة الليبرالية، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، ٢٠١٥، ص٨٢.

[٢] أفضل مثال على هذا طلب مواطنين في كبيك بتشريع قوانين لجعل اللغة الفرنسية لغتهم الرسمية.للمزيد حول هذا الموضوع ينظر: ويل كميلكا،مرجع سبق ذكره،ص٣٢٦.

[٣] شنَ مؤيدو نزعة التعددية الثقافية الى(جانب الليبرتاريين أمثال نوزك الرافضين للسلطة الأبوية) حملة ضد القانون الذي صدر في السبعينيات في المملكة المتحدة يلزم راكبي الدراجات النارية بأرتداء الخوذات. وأعتبروه أنه ينتهك حرية الأديان كونه غير منصف للسيخ المعممين، وكذا القوانين المنظمة لمسألة الذبح الإنساني للحيوانات الخاصة بأديان اليهود والمسلمين لذبح الحيوانات وفقاً لتقاليدهم، وكذا قانون ارتداء غطاء الرأس في فرنسا. للمزيد من الاطلاع ينظر: كولن فارلي، مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة، ت. محمد زاهي المغيربي ونجيب محجوب الحصادي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي،٢٠٠٨، ص٢٣٩-٢٤٧.

[٤] باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي، مرجع سبق ذكره، ص٦٧.

[٥] للمزيد حول القضية الأخيرة(منع القانون الفرنسي لغطاء الراس)، يُنظر: كاثرين سميتس، تطبيق النظرية السياسية، ت.أحمد محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣، ص٩٥ ومابعدها ومعنون تحت فقرة (جدل الحجاب في فرنسا).

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

القانون بزعم أنه ينتهك حرية الأديان، كونه غير منصف للسيخ المعممين. بيد أن الليبراليين ينكرون أن هذا القانون مجحف[١].

وفقاً لرؤية الليبرالية للمواطنة المتساوية، لا يوجد جوّر هنا إذ ان الجميع المواطنين يتمتعون بالحقوق نفسها. إن قانون ارتداء الخوذة ليس قانوناً تمييزياً لأنه لا ينص صراحةً على منع السيخ من ركوب الدراجات النارية، فالمعتقدات الدينية للسيخ، وليس القانون، هي التي تمنعهم من ركوب الدراجات النارية. أدى هذا الجدل إلى تعديل القانون عام ١٩٧٦ واستثنى السيخ من ارتداء الخوذات، ويعتقد أشياع التعددية الثقافية بصواب هذه الخطوة بحسبان أن العمامة تستوفي معايير السلامة المناسبة، وإن مبرر إلزام بارتداء الخوذة هو الاهتمام بسلامتهم، وأن ارتداء العمامة يحقق هذا الهدف، فلقد اعتبرت بديلاً منسباً للخوذة ولم يعد هناك داعٍ للاعتراض على استثناء السيخ المعممين من هذا القانون. عموماً، يمثل هذا الإجراء أحدى طرق استيعاب التنوع الثقافي أنه يتعامل مع الأفراد ضمن سياق خلفياتهم الثقافية، ويعبر عن احترام مختلف المعتقدات والممارسات التي يعتنقها مواطنوا المجتمع التعددي[٢].

إن مايستحق قيمة الأعتراف هو(القدرة) التي يشترك فيها الجميع على حد سواء، وهي باعثة على الوجود والتمايز وهذا ما يؤكد أن كل شخص يستحق الاحترام فيما يُعّبرَ عنه. وعليه، تستند ممارسة سياسة الاعتراف الى ما تنطوي عليه من قيمة أخلاقية مطلقة، هذه الإطلاقية تعني هنا إن الجميع يرمون تكوين هوية لهم ويرمون تعريفها في بعديها المتلاحقين(الفردي والثقافي). هنا يوافق كميلكا على قول تايلور بدعوة الأنظمة الليبرالية الى الأعتراف سياسياً بحقوق الأقليات، ذلك إن مبدأ المساواة في الحقوق والحريات الأساسية بات غير كافٍ، لإن سياسة الليبرالية تستهدف الضمانة القانونية للممارسة الفعلية للحقوق العامة والخاصة بالمواطنة. ولا تدخل هذه الحقوق في خانة حقوق المواطنة المتعينة على أساس انتماء اجتماعي[٣]. بيد أن تايلور يدافع عن ذلك النظام الذي يشجع التعدد الثقافي وتنوع اللغات، ويمكن أن يخفف المجتمع الليبرالي من هذا الاختلاف بشرط أن يوضع ملف العدالة في خانة الحقوق الثقافية وأن يؤمن هذا المجتمع بالعدل بين الثقافات[٤].

---

[١] كولن فارلي، مرجع سبق ذكره، ص٢٤٠.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٤١.
[٣] ساید مطر، مسائل التعددية والأختلاف في الأنظمة الليبرالية، مرجع سبق ذكره،ص٨٦.
[٤] سيلين سباكروتشارلز تايلور، حكاية الذات، ت. رشا مرتضى، المجلة العالمية، ابريل،٢٠١٦،ص٢٤١.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

ومن جانب أخر ومقارنة بالمنطق الليبرالي الكلاسيكي الذي يرى أن الاعتراف بالاختلافات الثقافية ربما يهدد حياد الدولة إزاء المضامين المنبثقة من حرية الاختيار، يؤكد كلاً من كميلكا وتايلور على عدم إمكان الاعتراف بأي حقوق ثقافية مالم تستند الى مقتضى الحريات الفردية الأساسية وتتوافق معها. تهدف سياسة الاعتراف ببعض المطالب الخاصة ترمي في نهاية المطاف الى نشر روح التسامح والسعي الى التقارب بين المكونات المختلفة ودمجها إجتماعياً بدل تفريقها، وتكون حافزاً للتضامن الإجتماعي بين المكونات الثقافية المختلفة[١].

هناك سؤال مثار حول هل أن التعددية الثقافية تُضعف الدعم لدولة الرفاه ولسياسات إعادة التوزيع؟ حسب الفرضية التي يقدمها المدافعون عن التعددية الثقافية- ان المؤسسات الكبرى منحازة للأغلبية وأن ذلك يهدد بشدة المصالح المقترنة بالأفعال والهوية الشخصية- يمكننا أن نتوقّع أن ترى الأقليات نفسها بالغُربة تجاه العملية السياسية برمّتها وأن تحترس منها. يمكننا ان نتنبأ إذن بأن الاعتراف بالتعددية الثقافية سيعّمق فعلاً التضامن وسيَدعَم الاستقرار السياسي وذلك بإزاحة الحواجز وإزالة أشكال الإقصاء التي تمنع الأقليات من أن تنخرط بشكل مُريح فيالمؤسسات السياسية. فما حدث في(كندا واستراليا) أفضل دليل على هذا، وكانا اولّ من اعتَمدا سياسات رسمية في التعددية الثقافية. وهناك من يرى عكس ذلك امثال(بريان باري) مفترضين أن التعددية الثقافية تُضعف الوحدة الاجتماعية ولها مفعول سلبي على سياسة إعادة التوزيع إلا انه لا يقدم لنا أي دليل على وجود مثل ذلك المفعول السلبي[٢].

من ناحية أخرى وحسب تايلور أن حياد الدولة يقوضّ المعنى الجماعي للخير المشترك وهو معنى ضروري حتى يقبل المواطنون تحمل التضحيات التي تقتضيها منهم دولة الرفاه. بيد ان معنى الخير المشترك وقع الآن ضحية لشيوع ضرب من الثقافة السياسية القائمة على مبدأ حياد الدولة وهي ثقافة تسمح للأفراد باختيار أهدافهم على نحوٍ مستقل عن(نمط الحياة المشتركة)، كما تسمح لهم أيضاً بالامتناع عن العمل وفقا للخير المشترك إن رأوا فيه ما يتضارب مع حقوقهم، وهذا يعني إننا لم نعد مستعدين لتحمل الأعباء التي تقتضيها العدالة الليبرالية. ومن هنا تاتي أزمة المشروعية التي تعيشها الديمقراطيات الليبرالية، فهي تطلب من المواطنين تضحيات باسم العدالة يتزايد حجمها باستمرار في حين تكون قيمة ما يتقاسمونه مع من يطلب منهم

[١] ساید مطر، مرجع سابق، ص٨٦.
[٢] ویل کمیلکا، مرجع سبق ذکره،ص٤٥٦-٤٥٧.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

التضحية من أجلهم متقلصةً. ولا يوجد أي نمط في الحياة المشتركة يمكنه دعم ما تطلبه الدولة المحايدة من مواطنيهم[١].

وأخيراً بقي أن نضيف إن نزعة التعددية الثقافية لم تنجو من النقد وبخاصة نقد المساواتيين الليبراليين أمثال(بريان باري ١٩٣٩-٢٠٠٩). إذ مثل إنشغاله الرئيسي في زعمه بأن سياسة الاعتراف تقوّض إعادة التوزيع لأن سياسة الأخيرة تعتمد على حسّ التضامن الذي يجعل المواطنين يتصورون العملية السياسية(حواراً على مستوى المجتمع حول المسائل ذات الأهتمام المشترك). بيد أن السياسة التي تؤيدها نزعة التعددية الثقافية تثير الخلاف والإنقسام وتقوّض بالتالي الألتزام بالمساواة الليبرالية. ويجادل **باري** بأن أنصار نزعة التعددية الثقافية يخطؤن عندما يفترضون أن جميع الأفراد وحالات الإجحاف التي تتعرض لها الجماعة تنجم عن خصائصهم الثقافية المميزة[٢].

المطلب الثاني

نقد بريان باري للتعددية الثقافية

شك فلاسفة الليبراليون المساواتيون في دعم الدولة لثقافات الأقليات، على أساس انها تقوّض جهد تحقيق المساواة التوزيعية. ودافع بعض من مدافعي الليبرالية المساواتية، التي تقوم على المساواة والانصاف، وافتراض ان البشر جميعاً يشتركون في مصالح مشتركة، ويجادلون أن كل أنسان لديه الحاجات والرغبات ذاتها، وعلى الدولة معاملة المواطنين كافة بالتساوي وبشكل موحد. إذ تمنحهم سلة متكافئة من الحقوق القانونية والسياسية والاجتماعية. وعليه، من الأرجح أنه يُعنى تشجيع الانصهار الثقافي، وليس الانفصال، وفق مبدأ تقرير المصير[٣].

بشكل عام، اتفق نقاد على تركيز التعددية الثقافية على الاعتراف بصرف الانتباه عن المصدر الحقيقي للظلم؛ وهو التفاوتات الاقتصادية والسياسية، ويرى بعض العلماء الاجتماع إن التعددية الثقافية تؤكد الفروق بين الاشخاص، بدلاً من إنسانيتهم المشتركة. وتطور النقد الأخير لحقوق ثقافات الاقليات والاعتراف بها من مقولات الفردية الليبرالية بأن الحقوق الثقافية غير متوافقة مع الحرية الفردية، وهو يتناول الحالة الصعبة الخاصة بالأقليات الثقافية التي لا تعترف

[١] ويل كميلكا، مرجع سبق ذكره،ص٣٢٢.
[٢] كولن فارلي، مصدر سبق ذكره، ص٢٥١.
[٣] كاثرين سميتس، تطبيق النظرية السياسية، مرجع سبق ذكره، ص١٢٠.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

بالحقوق الليبرالية ولا تقرّ الممارسات الليبرالية التي تحترم الحرية الفردية والاستقلال. مجادلين، بأنه ينبغي الاعتراف بالثقافة-فقط- إذا شجعت الحرية والاستقلال الفردي، ويكون هذا شرطهم الوحيد[١].

ومن وجهة نظر الليبراليين-وبالأخص الإتجاه الليبرتاري- إن النظرة الجماعاتية لسياسات الاعتراف في المجتمعات الديمقراطية لها مخاطر عدة: أولها، هو تناقضها مع الحرية الفردية، فاعلان وجود حقوق خاصة قد يحصر الأفراد في تفردهم وينسبهم إلى مجموعة تتعارض مع حريتهم الشخصية وما يملكونهم من امكانيات تواصل مع الآخرين، وإن المجتمع الحديث يتكون من أفراد لهم أدوار اجتماعية متباينة ومتعددة وليس من جماعات متراصفة الواحدة بجانب الاخرى. وتتعلق الخطر الثاني، بالتداخل والاندماج الاجتماعي، فالاعتراف العلني بالمجموعات الخاصة يمكنه أن يبلور الذاتية والمصالح الخاصة على حساب ما يجمع المواطنين، ويعيد المواطنين إلى كنف جماعاتهم الأصلية بدلاً من أن يزودهم بوسائل تجاوزها[٢]. ونرى لاحقاً ان كل تلك الأفكار المنتقدة للتعدية الثقافية ركز فيها أيضاً أحد أهم منتقدي التعددية الثقافية وهو بريان باري.

يبدأ بريان باري في نقده للتعددية الثقافية في كتابه (الثقافة والمساواة/ نقد مساواتي للتعددية الثقافية) بقول"يميل أنصار التعددية الثقافية إلى أن يكونوا طيور العقعق الفكرية، وهي طيور من فصيلة الغراب، تتميز بأنها تنجذب إلى الأشياء اللامعة. وتُبنى تلك الطيور اعشاشها الفخمة في الأشجار والشجيرات وتُغطيها بغطاء من اعواد الشائكة، ويتغذى على الحشرات وبيض الطيور الأخرى. مجادلاً، إن انصار التعددية الثقافية يشبهون طائر العقعق في بناء أنساقها الفكرية على نحوٍ مفكك، مثلما يبنى العقعق عشه، كما أنهم ينجذبون إلى أي افكار بارزة مثلما بنجذب العقعق إلى الأشياء اللامعة. فهم يلتقطون الأفكار الجذابة ويدمجونها في نظرياتهم من دون ان يشغلوا انفسهم كثيراً بشأن الكيفية التي يمكن بها أن تتوافق تلك الأفكار بعضها مع بعض"[٣]. ومن احد أهم تلك الأفكار التي يتبناها انصار التعددية الثقافية التقاطها هي التعبير وممارسة الطقوس – ضمن إطار الاحتكام للثقافة - باعتبارها جزاءً من ثقافة الجماعة.

---

[١] كاثرين سميتس، تطبيق النظرية السياسية، مرجع سبق ذكره،، ص١٢١.
[٢] دومينيك شنابر وكريستيان باشولييه، مرجع سبق ذكره، ص٢٨.
[٣] بريان باري، الثقافة والمساواة/نقد مساواتي للتعددية الثقافية، ت. كمال المصري، ج٢، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠١١، ص١٦١.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

يركز باري على أحد الإدعاءات حول الثقافة يعتمد عليها منظرو التعددية الثقافية، وهي ان نوعاً ما من الدفاع عن ممارسة معينة، هو القول بأنها تشكل عنصراً من ثقافة الجماعة التي تمارسها. يجادل **باري** ، أن هذا الأفتراض سائد بصورة تُثير الدهشة. ويدعي أنصار التعددية الثقافية بأنه لكي نبرر إحدى الممارسات، ليس من الضروري أن نُثبت أنها تستوفي معياراً عاماً معين اً للقيمة. القول ببساطة إن كانت تلك الممارسات تُشكل جزءاً من ثقافة الجماعة، فإنها تعد ضرورية لرفاهة الجماعة. وتركز حالة احتكام إلى الثقافة على فكرة أنه لا يوجد معيار مشترك يمكن بواسطته تقييم الثقافات والممارسات التي تعد جزءاً لا يتجزء منها. وهذا يتنافى مع الإدعاء الذي يقول أن الثقافات متساوية في القيمة. ويجادل **باري**، بأن الفكرة القائلة بأن الحقوق الليبرالية يجب أن تستند إلى القبول العام لتساوي الثقافات في القيمة تُشكل في الواقع تهديداً لتلك الحقوق[١].

السؤال هنا هو، ما الظروف التي في ظلها يكون الاحتكام إلى القواعد السلوكية المحلية دفاعاً مناسباً عن فرضها بصورة قانونية؟ يرد **بريان باري** بالأفتراض القائل بأن هذا الاحتكام إلى الثقافة يشكل نوعاً من التبرير في حد ذاته. ولكي نقدر خصوصية هذا الافتراض، دعونا نتفكر للحظة في الطريقة التي يدافع الناس بها عادةً عن افعالهم عندما يستنفروا للقيام بذلك. لنفترض – كما يجادل باري- أنه قد طُلب منك تبرير احد افعالك، هنا سيكون ردك الطبيعي هو أن تشرح سبب قيامك بذلك الفعل من خلال لفت انتباه إلى سمات الفعل التي جعلت منه الشيء الصائب الذي ينبغي القيام به في ظل الظروف المحيطة. هنا ربما يختار اي مراقب خارجي أن يقول إنك تحتكم إلى ثقافتك، أي انك استخدمت مخزونك من الأفكار حول ما يجعل الأفعال صائبة أو خاطئة، او أنه من المؤكد أنك تشترك في تلك الأفكار مع بعض الأشخاص الآخرين. وأنه من المحتمل جداً أنك قد تربيت على بعض منها على الأقل. لذا قد يكون دفاعك لفعلك بحسبانه كان صواباً من أجل كذا وكذا من الأسباب، وحيث أنك عرضت أسباباً، فإنه يمكن للشخص الذي تحداك لتبرر فعلك أن يجادلك حول ما إذا كانت تللك الأسباب جيدة أم لا. ويمكنك بطبيعة الحال، أن تحاول الرد على اعتراضاته، ولكن ما لا يمكنك القيام به، دون أن تغير الموضوع، هو التراجع عن الادعاء بأن القيام بذلك العمل هو جزء من ثقافتك. وليس هناك ما يمنعك من قول ذلك، ولكن عندما تقوله تكون قد توقفت عن المشاركة في الحديث الأخلاقي[٢].

[١] بريان باري، مرجع سبق ذكره، ص١٦٢.
[٢] المرجع نفسه، ص١٦٣.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

ولكن كيف يمكن لأي شخص أن يتصور جدياً أن مجرد الاستشهاد بحقيقة تقليد أو عرف معين يمكن أن يكون وسيلة مستقلة للتبرير؟ فحتى لو استخدمت هذه الوسيلة كنوع من التفسير، فإنها ستقابل مشكلات لأنها ستكون أقرب ما تكون لتحصيل الحاصل. غير أن هذه الوسيلة – بوصفها مبرراً – لا تبدو حتى أنها هي الوسيلة الصحيحة للقيام بتلك المهمة. وعلى الرغم من ذلك فإن هذ ا الاحتكام الصريح إلى واقعة التعددية، بأعتبارها مبرراً هو وسيلة شائعة ودائمة على نحو لافت للنظر[١].

يلخص باري هذه الفكرة في شعار" الثقافة ليس عذراً" وإذا كانت هناك اسباب منطقية ضد القيام بشيء ما فلا يمكن للمرء أن يتغاضى عن هذه الأسباب بأن يقول إن القيام بهذا الشيء يعد جزءاً من ثقافته، وحتى إذا كان ذلك صحيحاً، فإذ كان الشخص أو أسلافه قد اعتاد القيام بشيءٍ ما لفترة طويلة فإن ذلك لا يُعد في حد ذاته مبرراً للأستمرار في القيام بذلك الشيء.

طَور بريان باري في كتابه "الثقافة والمساواة" نقداً مساواتياً متعدد الجوانب لنزعة التعددية الثقافية. إذ تركزت انتقاداته على إساءة استعمال مؤيدي التعددية الثقافية. وذلك عند قيامهم بممارسات معينة باعتبارها أحد عناصر ثقافة الجماعة والدفاع عن تلك الممارسات، كما يحدث عندما يدافع المرء عن الاستثناءات من القواعد المنظمة للذبح الإنساني للحيوانات. باعتبار إن ذبح الحيوانات هي جزء من ثقافة اليهود الأرثودكسي والمسلمين، هنا يجادل **باري** بأن الثقافة ليست ذريعة[٢].

من ناحية اخرى، يقدم باري مثالاً معاصراً أكثر اقناعاً بتسليط الضوء على التأثيرات السلبية عن ما تخلفه مسيرات جماعة الأورنج الإرلندية الشمالية على عملية إستقرار السلام في إرلندا الشمالية مسبباً حالات شغب وإضطرابات عامة. إذ إن هذا الأستعراض يتسبب في استفزاز سكان منطقة (جارفكي) والتي غالبية سكانها من الكاثوليك. معترضاً بأن مثل هذه الاستعراضات تتوكد هيمنة الإنتماء البريطاني والبروستانتي على الإنتماء الإرلندي والكاثوليكي. هنا تدخلت الحكومة البريطانية محل النزاع، ففي عام ١٩٩٧ اقترحت الحكومة تشكيل لجنة للرقابة على المسارات التي تتخذها المسيرات السنوية التي تقوم بها طائفة الأورنج، وذلك حتى تضمن الحكومة – قدر المستطاع – أن تمر المسيرات بالشوارع التي يقطنها مؤيدوها. وكان رد الفعل الرسمي للطائفة

[١] المرجع نفسه، ص١٦٤.
[٢] كولن فارلي، مرجع سبق ذكره، ص٢٥٢.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

هو إن هذا التشريع لا يمثل فائدة للطائفة، ونحن نرفض تماماً ذلك الفكر الذي يسمح بمعاملة عقيدتنا وتقاليدنا وثقافتنا بهذه الاحتقار، وكان حجتهم هو إن الاستعراض على ذلك الطريق التاريخي جزء من عاداتهم وتقاليدهم[١].

يزعم باري إن عبارة "إننا نستعرض دائماً على هذا الطريق" لا تمثل تبريراً لهذه الممارسة، بالسماح بتحويل القافة إلى طقوس كما هو الحال عند انصار التعددية الثقافية. ويرى العديد من منتقدي التعددية الثقافية من إن اشياع التعددية الثقافية يلزموننا بفلسفة عامة وتفرض علينا التسامح

مع الممارسات غير العادلة، بينما يرى انصار التعددية الثقافية إن مثل هذه الممارسات هو دفاع عن نزعتهم الثقافية[٢] . هذه المسألة تطرح سؤالاً مهماً وهو: هل إن جميع الثقافات تتساوى في قيمتها؟

ينتقل باري إلى مسالة مهمة أخرى إلا وهي ما يفترضه البعض – من امثال تشارلز تايلور - من أن جميع الثقافات تتساوى في قيمتها. يجادل باري أن تايلور يلمح على أنه سيكون في مقدورنا إدراك جاذبية متأصلة في الفكرة التي تقول إن الثقافات تتساوى في قيمتها إذا تبنينا المنطق التالي. والخطوة الأولى في هذا الحجة تستلزم الموافقة على أن جميع البشر يستحقون الاحترام على سواء، الذي ترتبط اساساً بنهج فكري فلسفي من كانط. والتي تقول" ما يتم اختياره باعتباره ذا قيمة هو قدرة بشرية عامة" وهي قدرة يشترك فيها جميع البشر. والخطوة الثانية، هي القول إن الأساس الذي تستند إليه سياسة الاختلاف "هو قدرة الشخص على تشكيل وتعريف هويته الخاصة باعتباره فرداً وباعتباره ينتمي إلى ثقافة ما ايضاً" ويجب أن نحترم هذه القدرة على السواء عند الجميع. غير أن ذلك لم يوصلنا بعد إلى الادعاء بتساوي الثقافات. والوصول إلى هذه النقطة يستلزم اتخاذ خطوة اخرى وهي "احترام الثقافات الناشئة بالفعل احتراماً متساوياً" ولكن السؤال هنا هو: لماذا يجب علينا اتخاذ هذه الخطوة؟[٣].

لا شك في أن الادعاء بأن جميع البشر يستحقون الاحترام المتساوي يعد تأكيداً على المساواة الأساسية التي تعد المقوم الرئيسي لليبرالية المساواتية. ولكن تايلور يقصد شيئاً مختلفاً تماماً، وهو أن" مجرد التفكير في إمكان أن بعض الثقافات قد تكون اقل قيمة من غيرها يعني إنكار المساواة

[١] بريان باري، الثقافة والمساواة/نقد مساواتي للتعددية الثقافية، مرجع سبق ذكره، ص١٧٢.
[٢] كولن فارلي، نفس المرجع، ص٢٥٣.
[٣] بريان باري، المرجع نفسه، ص١٨٤.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

بين البشر" لذلك يرفض تايلور ذلك المطلب ويلجأ إلى افتراض اكثر ضعفاً وهو افتراض تساوي القيمة. وعليه ينتقل باري إلى مطلب بديل والأكثر قوة والمتمثل في أنه لا بُد من أن نعلن على رؤوس الأشهاد أن ثقافات مختلف الجماعات تتساوى في قيمتها. وتظهر هذه الفكرة مراراً وتكراراً بصيغ مختلفة في اعمال من يؤيدون سياسة الاختلاف. فيقول البعض لا يمكن أن تتساوى الجماعات من الناحية الاجتماعية إلا إذا كان هناك تأييد علني للخيرات والثقافة الخاصة بتلك الجماعات ومساهماتها الاجتماعية والاعترافبتلك الخبرات والثقافةوالمساهمات.

ويجادل البعض من أمثال (جيمس تولي)، بأن إحدى المنافع الرئيسية لليبرالية هي "احترام الفرد لذاته" وإن الأساس الاجتماعي لهذا المعنى الأولي لأحترام الذات هو تقدير الآخرين لأنشطة الفرد وأهدافه... ولما كان ما يقوله الشخص ويفعله والخطط التي يضعها وينقحها تحمل إلى حد ما سمات هويته الثقافية فإنه لا يمكن الوفاء بشرط احترام الذات إلا في مجتمع يتم فيه الاعتراف بثقافات جميع أفراده وتأييدها من قبل الآخرين، سواء كانوا يشتركون أو لا يشتركون في تلك الثقافات[١].

يعترض بريان باري على المطالبة بتقدير جميع الثقافات على قدم المساواة. الأعتراض الأول يتمثل في ان ذلك ينقلنا إلى مجال الأمور المتعلقة بالانضباط العام، والتي يجب أن تترك للتمييز الفردي. فلا يمكن لأي شخص يقدر قيمة الحرية الفردية أن يقبل فكرة أن الجميع يجب أن يكون من حقهم الحصول على نصيب متساوي من التقدير، فنجد في المجتمعات الليبرالية أنه يجب من الناحية المثالية ترجمة المنزلة القانونية المشتركة للمواطنين إلى معاملة متساوية لجميع المواطنين في التعاملات اليومية، فيجب على البائعين في المحال التجارية معاملة جميع الزبائن على قدم المساواة سواء كانوا سوداً أو بيضاً، رجالاً ونساءَ. والعكس صحيح، فيجب على الزبائن معاملة جميع البائعين في المحال على قدم المساواة. ويجب أن تتوقف مسألة من يجب أن يجلس ومن يجب أن يقف في الحافلات المزدحمة على السن والإعاقة، وليس بعض الصفات التي تعزي إلى بعض الأشخاص، وهكذا الدواليك[٢].

وعلى نقيض من ذلك، فإن سياسة الاعتراف تبحث عن ادلة معينة للتقدير والاحترام، ونجد بالتالي أن المعاملة المختلفة للآخرين وفقاً لانتماءاتهم (والتي كانت تميز المجتمعات الطبقية)

[١] بريان باري، الثقافة والمساواة/نقد مساواتي للتعددية الثقافية، مرجع سبق ذكره، ص١٨٧.
[٢] المرجع نفسه، ص١٩٠.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

تظهر في صورة جديدة "فالتقدير الذي تتم المطالبة به ليس تقديراً للطبقة الاجتماعية، بل تقدير للمقومات التي تحدد الهوية الشخصية، أو تقدير للمعاناة في الماضي والحاضر، أو تقدير لميزات الجماعات أو إنجازاتها، أي مدى قيمة ثقافة المرء"[1].

وعليه يمكن القول إن منتقدي نزعة التعددية الثقافية يؤمنون بأن إنشغال دعاة نزعة التعددية الثقافية الكامل بمجالات الاجحاف الثقافي جعلهم يغفلون التفكير في أهم القضايا الاجتماعية الملحة التي تواجه المجتمعات الرأسمالية، وخاصةً حالات الإجحاف الاجتماعي – الاقتصادي. وإن التحدي الذي يواجه أنصار التعددية الثقافية يتمثل في قدرتهم على تبيان الكيفية التي تساعد بها السياسات التي يدافع عنها أعضاء المجتمع الأقل حظوة. لذا يجب توضيح المصالح التي تكمن وراء المزاعم المتعقلة بأهمية الثقافة وتقديم حجج مقنعة على قدرة سياسات التعددية الثقافية على توفير الحماية الأفضل لتلك المصالح.

[1] نفس المرجع والصفحة.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

الخاتمة

تجسدت إشكالية بحثنا كما سلفنا اليه سابقاً بعدد من التساؤلات، حيث حاولنا إجاد أجوبة لها. ومن أهم تلك التساؤلات هو كيفية خلق توافق بين الوحدة السياسية والاسقرار الاجتماعي، مبرزاً سؤالاً إلا وهو هل ان العتراف بالتعددية الثقافية يهدد تلك الوحدة ام يساندها، وكيف يمكن التوفيق بين الأكثرية المهيمنة ثقافياً وسياسياً والأقليات الثقافية الساعية إلى حيازة تقرير مصيرها دون ان يؤدي ذلك إلى تفكيك الدولة؟ ومن خلال دراستنا راينا آراء مختلفة من مفكري الإتجاهات المختلفة حول نظرية التعددية الثقافية بين الاعتراف والانتقاد. وبعد الاطلاع على اعمال تلكم المنظرين والمفكرين توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

١- يعد كلاً من (ويل كميلكا و تشارلز تايلور و ريكو باريخ وبريان باري) من ابرز الفلاسفة السياسيين الذين عالجو قضية التعددية الثقافية، وتناولوا قضايا ذات صلة حول التوفيق بين الحريات الفردية والاعتراف بالهويات الجماعية.

٢- كان ثمة سوء فهم كبير متعلق بالتناقض المفترض بين حقوق الجماعات وحقوق الأفراد (على سبيل المثال)، الاستثناءات التي تسمح السيخ بارتداء العمامات بدلاً من الخوذات الواقية، ليس ضرباً من ضروب المعاملة الخاصة التي تتيح لحقوق الجماعات ان تنتصر على حقوق الأفراد.

٣- التعددية الثقافية باعتبارها شكلاً من أشكال الجماعاتية، وبديل إيجابي عن سياسة الإندماج. يلتزم بسياسة الإقرار بحقوق المواطنين والهويات الثقافية لجماعات الأقليات العرقية وإثبات قيمة التنوع الـ ثقافي والإعتراف بحقهم في الوجود كجماعات متميزة في المجتمع. وشَكَل الأقليات الثقافية وقضية انقسامها للسلطة السياسية والموارد الاقتصادية مع الأكثرية المهيمنة، موضوعهم الرئيسي. ما دفع **كميلكا** مناداة بضرورة الإلتفاف اليهم عند الإنشغال على تحقيق العدالة الليبرالية السياسية في دول متعددة الثقافات، محاولاً تحقيق التوازن بين الأهمية الفردية والأهمية الجماعية(أي بين الحرية الفردية والإنتماء الثقافي).

٤- وأكدتايلور بتصور الليبرالي لأولوية الحقوق الفردية على الإنتماءات الجماعية، والتي بالنتيجة يُفضي بالخطر، لأنه يرفض الإختلاف الثقافي ويعجز عن قبول انماط الحياة الثقافية للمجموعات التي هي أساس بنائها. لذا نادى تايلور(من خلال تبني سياسة الاعتراف) الى الدعوى بالاعتراف بحقوق الجماعية وإختلافات ثقافية بدل الإكتفاء بالحقوق الفردية.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

٥- انتقد بريان باري تللك الرؤيا حول الاعتراف بالتعددية الثقافية، ودفاعهم عن ممارسات معينة باعتبارها تشكل جزءاً من ثقافة الجماعة، وعليه يرفض باري ان تكون الثقافة عذراً لتلك الممارسات كدفاع عن نزعتهم الثقافية. ويرى بريان ياري إن إنشغال دعاة نزعة التعددية الثقافية بمجالات الإجحاف جعلهم ان يغفلوا عن القضايا الاجتماعية الملحة التي تواجه المجتمعات ومن ثم قد يؤدي ذلك لعدم الاستقرار.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

قائمة المصادر

١- أميد رفيق فتاح، إشكالية المواطنة في الفكر السياسي المعاصر، دار السردم للطباعة والنشر، سليمانية، ٢٠٢٠.

٢- احمد عبدالحافظ، الدولة والجماعات العرقية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة.

٣- اندرو هيوود، النظريات السياسية،ت.لبنى الريدي، المركز القومي للترجمة،القاهرة، ٢٠١٣.

٤- اندرو هيوود، مدخل إلى الايديولوجيات السياسية، ت. محمد صفار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢.

٥- باتريك سافيدان، الدولة والتعدية الثقافية، ت.مصطفى حسوني، دار تويقال للنشر، المغرب، ٢٠١١.

٦- باسكال سلان، الليبرالية، ت.تمالدو محمد، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ٢٠١٠.

٧- بريان باري،الثقافة والمساواة: نقد مساواتي للتعددية الثقافية، ت. كامل المصري، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الكويت، ٢٠١١.

٨- حسام الدين علي مجيد، أشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٠.

٩- سعد الدين أبراهيم، التعددية السياسية والديمقراطية في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان.

١٠- دومنيك شنابر وكريستيان باشولييه، ما المواطنة؟ ت. سونيا محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦.

١١- كاثرين سميتس، تطبيق النظرية السياسية، ت.أحمد محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٣.

١٢- علي راتانسي، التعددية الثقافية، ت. لبنى عماد تركي، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

١٣- سايد مطر،مسائل التعددية والأختلاف في الأنظمة الليبرالية،المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، ٢٠١٥.

https://doi.org/10.17656/jlps.10218

١٤- سيلين سباكتروتشارلز تايلور، حكاية الذات، ت. رشا مرتضى، المجلة العالمية، ابريل، ٢٠١٦.

١٥- كولن فارلي، مقدمة في النظرية السياسية المعاصرة، ت. محمد زاهي بشير ومحجوب الحصادي، جامعة قاريونس- بنغازي، ٢٠٠٨.

١٦- ويل كميلكا، مدخل الى الفلسفة السياسية المعاصرة،ت منير الكشو،المركز الوطني للترجمة، تونس،٢٠١٠.

١٧- طوني بنيت ولورانس غروسبيرغ، مفاتيح إصطلاحية جديدة، معجم المصطلحات الثقافية، ت.سعيد الفاتحي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠١٠.

١٨- محمد عثمان محمود، العدالة الاجتماعية الدستورية في الفكر الليبرالي السياسي المعاصر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤.

البحوث و الدوريات

١- مهند مصطفى، سياسة الاعتراف والحرية، مجلة تبين، العدد(١٧)، صيف(٢٠١٦).

٢- حسام باقر الغرباوي، الليبرالية: نظرة في منطلقاتها الفكرية وآفاقها المستقبلية، مجلة العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جلمعة بغداد.

٣- علي أمليل، من التسامح إلى التعددية الثقافية،في (مجموعة من المؤلفين، الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية)، تحرير.عبد الإله بلقزيز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٣.

٤- ياسر قنصوة، المفهوم الليبرالي للتعددية الثقافية، مجلة التفاهم، العدد(٦١)، سلطنة عمان، ٢٠١٨.

المراجع باللغة الانجليزية

1- Will Kymlicka,"Multicultural Citizenship: A Libral Theory Of Minority Raghts",(Oxford University. Press,1995)

2- Zoe Morrison, " Social Inclusion and the Politics of Recognition", Social Policy Wrking Paper,2010.